اسم الدرس : إشكالية اختلاف النخب | سلسلة إشكاليات

تصنيف الدرس : تربويات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن شاء الله درس اليوم سيكون إشكالية صغيرة، الإشكالية التي سنتكلم عنها اليوم إن شاء الله نسمع فيها أسئلة كثيرة، وهي حقيقةً لا يخلو منها زمان.

فالإنسان يحاول أن ينظر ما هي الإشكاليات التي تواجه الشباب في السير في الطريق إلى الله -سبحانه وتعالى- وقلنا إن هذا كان الغرض الأساسي من السلسلة، المرء يحاول أن يسمع من الشباب ما الذي يواجهه، ويمنعه كعوائق في الطريق إلى الله -سبحانه وتعالى-، شخص قرر أن يسير في الطريق إلى الله، ضَحَّى، بدأ يترك جزءًا من الشهوات، بدأ يقبل على الله -سبحانه وتعالى- لكن يُفَاجأ بوجود إشكاليات تقابله في الطريق.

الإشكالية التي سنتحدث عنها اليوم إشكالية الاختلاف التي يواجهها السائر في الطريق إلى الله -سبحانه وتعالى- بين الناس المتصدرة، وممكن أن نصيغ ما قلته هذا في عنوان نسميه (إشكالية اختلاف النخب).

بالرغم من أن كلمة النخب أو النخبة كلمة غير دارجة خاصةً في الاستعمال القديم لكن أصبحت دارجة في واقعنا المعاصر الآن، ونحن حاولنا أن نأخذ نفس اللفظة وسنتكلم إن شاء الله عن تحليل العنوان.

درس اليوم كعناوين سنتحدث عنها:

١. سنتحدث عن معنى العنوان، ما معنى إشكالية اختلاف النخب أصلًا؛ كي نعرف عم نتحدث، نتحدث عن النخبة والاختلاف.
٢. نعطي مقدمات -طالما الشباب يسأل عن الواقع- عن كيفية نشأة النخب الموجودة الآن، الناس المتصدرة -ولا سيما في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من مواقع التواصل- كيفية نشأتهم وكيفية اختلافهم، الأسباب التي أدت لهذا -بالطبع جزء من الأسباب فلن نحيط بها ولن نحلل الموضوع تحليلًا طويلًا-.

٣. ثم بعد ذلك سنذكر نقاطًا هامة.
٤. نصائح للنخب أو للكوادر.
٥. نصائح للمتابعين الذين هم نحن، نحن من نتابع الناس المتصدرة وكيف نستفيد منهم دون أن يسبب لنا ذلك أثرًا عكسيًّا.

هذه هي النقاط التي سنحاول بإذن الله -سبحانه وتعالى- أن نُغطيها في لقاء اليوم.

ما معنى إشكالية اختلاف النخب؟

الوقفة الأولى: قلنا إشكالية اختلاف النخب. بادئ ذي بدء، هل الناس بحاجة إلى نخب؟ بمعنى هل الناس بحاجة إلى ناس توجههم، مُوَجهين، متصدرين، معلمين، أيًّا كان؛ لأن المتصدر يمكن أن يكون معلمًا فقط، ويمكن أن يضيف إلى التعليم نصائح تربوية، ويمكن أن يضيف توجيهات في الحياة، فأيًّا كان المتصدر على حسب المساحة التي يتصدر فيها.

بمعنى أنه يوجد شخص لا يتصدر فقط ليعطي دروسًا علمية، لا، بل يضيف نصائح تربوية في الطريق إلى الله -سبحانه وتعالى-، ويمكن لشخص أن يضيف نصائح اجتماعية في مسائل الزواج والطلاق والعلاقات الاجتماعية بين الناس، فيمكن للمتصدر أن يكون في أكثر من مساحة.

فالسؤال: هل الناس بحاجة من الأساس إلى هذا؟ بمعنى هل نستطيع أن نستغني عن هذا؟

الحقيقة أن طبيعة الناس وفطرة الناس أنها دائمًا بحاجة إلى موجهين، دائمًا بحاجة إلى معلمين، بل النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما يخبرنا عن آخر الزمان، وحالة رفع العلم وانتشار الجهل كما ورد هذا اللفظ في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من صدور العلماء)[1] أي في آخر الزمان انتشار الجهل مرتبط بقلة العلماء، أو قلة العلم وكيف يحدث قلة العلم، ليس برفع العلم من الصدور ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ولكن بقبض العلماء) أن العلماء يقلون في آخر الزمان.

١ إنَّ اللَّهَ لا يقبِضُ العِلمَ انتزاعًا ينتزِعُهُ من صُدورِ الرِّجالِ، ولَكن يقبِضُ العِلمَ بقبضِ العلماءِ، فإذا لم يَبْقَ عالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رؤُساءَ جُهّالًا فَسُئلوا فأفتَوا بغيرِ علمٍ فضَلُّوا وأضَلُّوا
الألباني (ت ١٤٢٠)، صفة الفتوى ٧ • صحيح

وهنا أيضًا إشارة أنه من باب مدافعة القدر بالقدر، نحن ينبغي علينا أن نعمل على بناء العلماء، وأنه دائمًا نهتم ببناء العلماء؛ لأنه كلما قل العلماء في أي زمان أو في أي مكان، هذا علامة انتشار الفتنة وانتشار الفساد، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ولكن بقبض العلماء)، إذًا هؤلاء العلماء كانوا متصدرين، كانوا يوجهون الناس، بدأوا يقلون، فماذا فعل الناس لما قل العلماء في زمانهم؟ (اتخذ الناسُ رؤوسًا جُهّالًا) لماذا لم يعيشوا بدون علماء، بدون رؤوس؟ لا، هنا كلمة (اتّخذ) التكلف الذي في لفظ (اتّخذ) يدل أن هذه فطرة في الناس، أنها تبحث عن رؤوسٍ توجهها.

أي أننا أحيانًا من نقوم بصنع النخب أو بصنع المتصدرين، لماذا؟ لأن الإنسان لا يستطيع -غالبًا لا يستطيع- أن يعيش فردًا في الفراغ هكذا، طبيعة الناس أنها تحب أن تشعر بالانتماء، أن يكون منتميًا لشيخ أو لعالم أو لمدرسة.. أيًّا كان.

حتى تجد الآن -بالرغم من أن المسألة الآن أصبح هناك حالة من الانفضاض عن الجماعات- تجد أن الناس وهي تكتب في التعريف الخاص بها في الصفحات الشخصية في فيس بوك وغيره بدأ يكتب انتسابه الدنيوي أنه مثلاً في كلية كذا أو وظيفته كذا، وبدأ يكتب انتماءاته الدينية أنه مثلاً في برنامج صناعة المحاور، أنه في أكاديمية زاد، أنه يَدرس في كذا، وتجده يكتب أشياء كثيرة، هذا يعطيه نوعًا من الاطمئنان أنه ليس وحيدًا.

هو يريد أن يصل فيحتاج أن يسأل، فهذه تعطيه نوعًا من الأمان.

مثلًا: تخيل الفارق بين إنسان يدرس الطب بمفرده وبين إنسان في الكلية، الذي في كلية يشعر بنوع من الأمان أنه يوجد مدرسين وأناس تهتم به، ويوجد ترتيب تَرَاتُبي معين بمعنى سنة أولى، ثانية، ثالثة، فهذا يعطيه نوعًا من الاطمئنان إلى حدٍ ما.

فالشاهد أن طبيعة الناس أنها تحتاج إلى نخب، لدرجة أنهم لو لم يجدوا علماء فيختاروا أي أحد (اتّخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا).

النخب الحقيقية والنخب المزيفة

وهنا ليس كل من تصدر أو كل من ترأس هو نخبة حقيقية، نحن لدينا أحيانًا نخب وهمية، في المصطلح الطبي هو (Pseudo) هو أشياء تزويرية أو كاذبة ، عندنا نخب ليست حقيقية، بمعنى هو تصدر وبدأ يقدم نوعًا من التفاهة، نوعًا من الكلام والذي يمكن أن يُظن أنه كلام عظيم لكنه مخالف لنصوص الشريعة وهذا أصبح موجودًا.

عندنا الآن نخب تصدرت لدى كثير من الشباب وأصبحت رموزًا، فإما أن يقدم شيئًا تافهًا أو يقدم كلامًا يُظَن أنه كلام مهم وكلام فلسفي عميق، وهو كلام يصادم أصول الشريعة، أو يقدم نفسه على أنه إسلامي، يقدم أطروحات دينية ويقدم أصولًا تصادم الشريعة وهذا موجود.

ولذلك يُقَيّض –سبحانه وتعالى– من رحمته من يقوم من أهل العلم ليرد على هؤلاء، كل فترة المرء يسمع عن أناس تقع في شبهات من أناس من داخل الإسلام.

أي يتصدر أحد للدفاع عن الإسلام لكن هو لا يمتلك أدوات معينة، أو تحت سلطة الثقافة الغالبة فهو مؤمن بتسلط العلم التجريبي بصورة كاملة على الدين فيبدأ يُنَازِع في قضايا شرعية، بل يهدم أصولًا ويرد كتبًا كالبخاري ومسلم بكل سلاسة، ليس لديه أي مشكلة، بسبب أنه لا يستند إلى أصول متينة في فهم الشريعة.

الشاهد: ذكرنا أول نقطة أننا نقول إشكالية اختلاف النخب، كلمة النخب وقفنا عندها، وأن الإنسان بحاجة إلى من يسأله، بحاجة إلى أهل العلم، بحاجة إلى أَحد يُوَجِهه، وأنه من الصعب أن يكون الإنسان بمفرده، وهناك نخب وهمية، ويوجد نخب حقيقية.

حسنًا؛ كيف أعرف النخبة الحقيقة؟

أعجبني تقسيم بعض أهل الفضل يقول: إن الإنسان في أي علم أو في أي باب من الأبواب، في أي علم في الفقه أو تفسير أو حتى أبواب العلوم الاجتماعية... أي باب من الأبواب، بل حتى العلوم الإنسانية سواء السياسية والاقتصاد، الإنسان يمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: يمكن أن نطلق عليه **عامي في الباب**، وليس معناها أنه لا يعرف شيئًا، لا، بدأ يفك مصطلحات هذا الباب، مثلاً لو قلنا إن شخصًا في علم الحديث ونقول فلان عامي في علم الحديث أي بدأ يَدرس كتاب مصطلح، بدأ يفك المصطلحات، يعرف ماذا يعني حديث حسن، وحسن لغيره، ضعيف، شاذ، منكر، بدأ يعرف فكرة الانقطاع الذي في السند والإعضال. بدأ يفك هذه المصطلحات، هذا عامي في العلم، أنا لا أتكلم عمن هو خارج العلم بالكلية ، لا، أنا أتكلم عن الترتيب داخل العلم نفسه، أو التي داخل الباب نفسه، هذا عامي في العلم.

المرحلة الثانية: بدأ يرتقي ويتقن وقضى فترة من حياته في هذا الباب، ولا يلزم أن نحدها بفترة زمنية محددة لكن مثلًا قضى أربع أو خمس سنوات **متخصصًا في الباب**، أعطى عُمُرًا وسنوات معينة في هذا الباب، فبدأ يظهر عليه وخاصةً لو اصطفاه الله –سبحانه وتعالى– بنوع ذكاء وفطنة وجهد ووقت وتفرغ يكون متميزًا في الباب، حقًا يبدع في هذا الباب.

أي شخص أُوتِي ملكات معينة وأعطى وقتًا واهتمامًا وسار في الطريق المسلوك في باب معين –الذي سلكه غيره– سيفتح له بإذن الله –سبحانه وتعالى– إلا أن يشاء ربي شيئًا، بالطبع مع الاستعانة بالله –سبحانه وتعالى–.

إن لم يكن من الله عون للفتى * فأول ما يجني عليه اجتهاده.

الشاهد: أنه بعد ما يعطي فترة لهذا الباب خمس، ست، سبع، عشر سنوات في الباب.. نقول عليه نخبة في هذا الباب.

هو بدأ حقًا يتصدر، أصبح أهلًا، يشهد له أهل هذا العلم، وحتى عندما يحدث بينهم مناكفات ومناوشات أهل هذا الفن نفسه منهم من يشهد له بالإيجاب ومنهم من يعترض عليه في نقاط، ويؤيده في نقاط، لكن بدأ يُشهَد له في هذا الباب. فهذا حقًا أصبح نخبةً يُحال إليه في الباب.

مثلًا: لو تكلمت في باب الحديث، بالرغم من أن الشيخ أحمد السيد في برنامج صناعة المحاور متميز في باب الرد على الشبهات، إلا أنه قطع شوطًا في علم الحديث، فيمكن نقول أنه نخبة في علم الحديث.

المرحلة الثالثة: لو استمر أكثر في الباب وتخصص أكثر يصبح بتعبير أهل الفضل نسميه **مرجعية في الباب**، ماذا تعني مرجعية؟ أي أنه لم يَعد مجرد نخبة ومتصدر، لا، بل يُرْجع إليه ويُسأل وهو يُقيم الآخرين في هذا الباب، مثل الشيخ مصطفى في علم الحديث أو الشيخ الألباني، هذا إنسان لم يعد نخبة فقط، لا، بل أصبح متمكنًا.

عندما يقول لك في تقسيم الأسماء في اللغة هناك اسم مُتمكن أَمكَن، وهناك مُتمكن غير أَمكَن، أي هناك اسم متمكن جدًا.

المتمكن في الباب شخص أصبح متمكنًا جدًا في الباب، ويُرْجع إليه واعتُرِفَ له حتى لو خُولِف، فالشيخ الألباني يُخالَف كثيرًا، وبعض تلامذته استدرك عليه لكن هو يظل أهلًا في هذا الباب ويظل مرجعية في هذا الباب.

لكن المشكلة في الإنسان الأبتر الذي يظهر فجأة ويتكلم في تفاصيل كثيرة من الدين، ويهدم أصولًا وينقم على كثير من العلماء السابقين، فأنت تتعجب من هذا.

وإن كنتُ لا أحب أن أذكر أمثلة كثيرة لكن مثلًا من الناس التي أتعجب من جرأتهم -ودائمًا الجريء تقلق منه قليلًا، لا أقول ترد كل كلامه لكن تقلق منه إلى حدٍ ما- دكتور أحمد خيري العمري أشعر أن عنده جرأة في نقد التراث، ما هي الأدوات التي حصلتها حتى تُقدم أطروحات تجديدية بهذا العنف؟!

الرأي المعتبر

فالشاهد أن النخبة منها نخبة حقيقية اصطفاها الله -سبحانه وتعالى- ومنها نخبة تصدرت؛ لأن المشكلة أن معايير التصدر الآن وخاصةً للأسف مع انتشار السوشيال ميديا لم تصبح المعايير دقيقة،فلا تجد أن أهل الفن-أي أهل التخصص -هم من يشهدون له...لا، بل أصبح عنده متابعين كُثر!، المتابعين له على القناة كثير، فتصدر،فيقول رأيه في الباب، ثم بدأ رأيه ينتشر فكلما رد عليه أحد-ومن يردون عليه ممكن يكونون لا يستعملون السوشيال ميديا أصلًا، أو غير مشهورين-، فممكن المنشور الذي كتبه أو الحالة التي عملها النخبة غير الحقيقية رآها اثنان مليون شخص أو قرأها مليون شخص، والرد قرأه مائة وخمسون شخصًا مثلًا، فقد يحكم أن هذا هو المنتشر، فيُظن أنه نخبة حقيقية، بالكثرة والانتشار وأن الناس تريده كثيرًا!!!

قد يقال لك: ألستم تقولون بأن شهادة الناس له شيء معتبر؟ لا، لا نقول بأن الناس تشهد له، نحن **نقول أهل الفن أهل التخصص يشهدون له وليس عموم الناس، عموم الناس رأيها في هذا الباب غير معتبر.**

على سبيل المثال لو مائة ألف إنسان يقولون على حديث أنه ضعيف، والبخاري ومسلم يقولون عليه صحيح، لا نحسبها أن اثنين أمام مائة ألف، لا، هنا فيه شيء نوعي، هنا نأخذ برأي البخاري ومسلم.

إذًا كل هذا في كلمة النخبة، هذه مسألة النخب.

الاختلاف بين النخب

نقول "إشكالية اختلاف النخب"، ما هو الاختلاف إذًا؟ وهل حقًا يجب أن يظل الاختلاف موجودًا؟

منذ البداية نحن نقول أن هذه الإشكالية التي نتحدث عنها اليوم لن تُحَلّ!...ما دوري إذًا معكم اليوم؟

جئت لأقول لكم اعلموا أن هناك إشكالية، ولا تعتقدوا أنكم ستخرجون من الدرس بكلمة سر تستطيعون الدخول بها في أي خلاف لِتُحَل لك المشكلة!

ولا تظن أن الاختلاف سيُحَل بمجرد بعض الكلام، لا، سيظل الاختلاف موجودًا {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود: ١١٨].

الاختلاف سنة قدرية ماضية بين البشر؛ لأن النزاعات، وطريقة رؤية الأشياء، وطريقة تحصيل المعرفة تختلف بين الناس؛ لذلك سيظل الاختلاف قائمًا.

الاختلافات ألوان شتى؛ من أول الاختلاف بين الإيمان والكفر، والاختلاف داخل درجات الكفر، ثم النفاق، ثم الأديان الباطلة، ثم داخل الدين نفسه يوجد اختلافات؛ فهناك اختلافات في فهم النص، وهناك خلاف معتبر وهناك خلاف غير معتبر، وهناك خلاف سائغ وخلاف غير سائغ... إلخ، فمسألة الخلاف ستظل موجودة، أيًّا كان نوع هذا الخلاف وكيفية التعامل معه.

وليست كل أنواع الاختلاف على درجة واحدة، وهذه قصة طويلة -ليست موضوعنا اليوم-، ولكن لمن أراد أن يقرأ في هذه الأبواب هناك كتب جيدة؛ مثل كتاب "كيف نختلف" للشيخ سلمان العودة، وأعجبني أن الشيخ لم يمنع الخلاف، بل قال: (كيف نختلف؟)، إذًا الفكرة في كيفية إدارة هذا الخلاف!

مهم جدًا أيضًا مراتب هذا الخلاف، من الولي؟ من العدو؟ كيف نتعامل مع الأولياء والأعداء؟ مراتب الولاية ومراتب العداء؛ لأن أغلبنا يحب أن يتعامل بقاعدة All or None، فهناك سؤال مشهور دائمًا؛ هل فلان طيب أم خبيث؟ الإجابة هنا لا تكون إجابة واحدة، السؤال بهذه الطريقة غير منطقي؛ فكل مِنَّا لديه اختلافات، والإجابة لا يمكن أن تكون جملةً واحدة تصفه بالطيب أو بالخبيث، هذا يختلف عن السؤال عن شخص كافر، ففي كثير من الأحيان يُسأل هذا السؤال عن شخص مسلم يعمل للدين وعنده بعض الأخطاء؛ فلا يصح أن تكون الإجابة بنعته بالطيب أو الخبيث!

فالاختلاف سيظل موجودًا، وهذا الاختلاف من الابتلاءات التي ابتلى الله -سبحانه وتعالى- هذه الأمة بها.

ومن أراد فهم هذه النقطة بتفصيل أكثر فليشاهد الدرس العاشر في تفسير سورة الأنعام، تكلمت فيه بالتفصيل في شرح قول الله -سبحانه وتعالى-: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام:٦٥] ، يتناول الدرس شرح هذه الآية فقط.

ذكرت مسألة الاختلاف، وأنه سنة الله في الحياة الدنيا مثل الشهوة في الناس، فهي أمر فطري ولا يمكن نزعه، ولكن الفكرة في كيفية التعامل معها؛ فكذلك الاختلاف.

عبوديات الاختلاف

هناك عبوديات نشأت من وجود الاختلافات؛ فكما أن هناك عبوديات كثيرة نشأت من وجود الشهوة بداخلك؛ سواءً كانت حلالًا أو أنك تجاهد نفسك أو تمنع الشهوة بالصوم أو غض البصر، كذلك هناك عبوديات ضخمة تنشأ من وجود الخلاف، وهناك ابتلاءات عظيمة يقع فيها الإنسان بسبب الخلاف، وهذه نقطة محورية في الدرس؛ من الممكن أن نقول لدينا ثلاث أو أربع نقاط محورية، وهي أهم النقاط، والباقي كله مقدمات وكلام حول هذه النقاط، من تلك النقاط المحورية:

أن **الاختلاف قدر وسنة ويخرج منه عبوديات كثيرة**؛ كيف ستتصرف معه؟ سواء للمتصدِّر، للعالِم، للنُّخبة، للأتباع، ماذا سيفعل كل منهم؟ هل ستعطي الحقوق؟ هل ستُنقِص قدر مَن أمامك؟ هل ستتبع الشخص أم الحق؟ هل ستغتاب المخطئ؟ هل ستطعن فيه؟

كل هذه عبوديات وأخلاقيات ضخمة تظهر سلبًا وإيجابًا؛ يعني سواء الغضب أو الحلم، سواء الانتقام أو العفو، كل هذه الأخلاقيات تظهر بسبب وجود هذا الخلاف.

فهذا أمر موجود؛ لذلك يقول الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآية {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما نزلت هذه الآية: (هذه أهون)[٢].

والحديث المشهور أن النبي- صلى الله عليه وسلم- (قام فصلى صلاة لم يصلّ مثلها، فجاءه أحد الصحابة، وقال: يا رسول الله رأيتك تصلي صلاة لم تصل مثلها، قال: إنها صلاة رغبة ورهبة -أو قال: صلاة رغب ورهب؛ سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين، ومنعني الثالثة)[٣].

النبي -صلى الله عليه وسلم- كان مشغولًا بالأشياء التي من الممكن أن تُفني الأمة، ففكر في ثلاث أشياء، لذلك هو قام ابتداءً بسؤال الله -سبحانه وتعالى- أن يمنع عن هذه الأمة ثلاثة أشياء؛ ألا يسلط عليها عذابًا يستأصلها، وهذا شيء لن تستطيع الأمة أن تقف أمامه، لو أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يُنزل عذابًا كاملًا على هذه الأمة ويستأصلها، فمهما أوتي البشر من قوة لن يستطيعوا أن يقفوا أمامها، فكان الحل في الدعاء، فدعا النبي الله -عز وجل- (فأعطانيها)، فالحمد لله نحن مطمئنون أن الله -سبحانه وتعالى- لن يرسل عذابًا على أمة الإسلام، قد يرسل عذابًا خاصًا في مكان، ولكن المؤكد أنه سبحانه وتعالى لن يرسل عذابًا عامًا يأخذ الأمة بأكملها، إذًا؛ من يخشى على أمة الإسلام، نحن نطمئنه من هذه الناحية.

---

٢ [عن جابر بن عبدالله:] لَمّا نَزَلَ على رَسولِ اللهِ ﷺ: {قُلْ هو القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ علَيْكُم عَذابًا مِن فَوْقِكُمْ} [الأنعام: ٦٥]، قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، {أَوْ مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ} [الأنعام: ٦٥] قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، فَلَمّا نَزَلَتْ: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: ٦٥] قالَ: هاتانِ أهْوَنُ، - أوْ أيْسَرُ -.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧٣١٣ • [صحيح]

٣ [عن خباب بن الأرت:] أنَّهُ راقبَ رسولَ اللهِ ﷺ اللَّيلةَ كلَّها حتى كانَ معَ الفجرِ فلمّا سلَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ من صلاتِهِ جاءَهُ خبّابٌ فقالَ يا رسولَ اللهِ بأبي أنتَ وأمّي لقد صلَّيتَ اللَّيلةَ صلاةً ما رأيتُكَ صلَّيتَ نحوَها. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أجل إنَّها صلاةُ رغبٍ ورَهبٍ سألتُ ربّي عزَّ وجلَّ فيها ثلاثَ خصالٍ فأعطاني اثنتينِ ومنعني واحدةً سألتُ ربّي عزَّ وجلَّ أن لا يُهلِكنا بما أهلَكَ بِهِ الأمَمَ قبلنا فأعطانيها وسألتُ ربّي عزَّ وجلَّ أن لا يظْهرَ علينا عدوًّا من غيرنا فأعطانيها وسألتُ ربّي أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح النسائي ١٦٣٧ • صحيح

فكَّر النبي –صلى الله عليه وسلم– في الأشياء التي من الممكن أن تُفنِي الأمة، فقال عذابا يستأصلها، هذا شيءٌ قدري خارج عن قدرة البشر (ألا يسلط عليها عذابًا يستأصلها).

ماذا عن السبب البشري الخارجي أيضا؟ أن الأمم الكافرة كلها –مثلًا– تتحزب وتفكر في أن تُفني الإسلام؛ أن يقرر الشرق والغرب الاجتماع على إفناء الإسلام، ومن الممكن أن يمتلكوا الأدوات لهذا الأمر، لكنَّ الله –سبحانه وتعالى– يعصم هذه الأمة، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (فسألت ربي ألا يسلط ربي عدوًا من خارجها يستبيح بيضتها، فأعطانيها)[٤]؛ إذًا لن يُسلَّط عدو على الأمة بأكملها –وليس على جزء منها– هذا لن يحدث.

إذًا نحن اطمأننا من هاذين الأمرين؛ من الأمر القدري الخارجي والأمر البشري الخارجي.

ماذا عن الأمر الداخلي؟

انظر كيف يفكِّر النبي –صلى الله عليه وسلم– في الاستعاذة من هذا الأمر؟

معنى ذلك أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلم أن هذا أمر قد يُفني ويُضيع جهود الأمة (فسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها)[٥].

مرة ثانية، اسمعوا الدرس العاشر في سورة الأنعام؛ لأن فيه آثار رائعة ذكرها الإمام الطبري –والإمام الطبري مبدع دائمًا–، وفي هذه الآية استفاض في ذكر آثار وتعليقات كانت جميلة جدًا، والتعليق على هذه الآية جميل في تفسير الطبري وفي غيره من التفاسير.

---

٤ [عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم:] إنَّ اللَّهَ زَوى لي الأرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنْها، وأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأحْمَرَ والأبْيَضَ، وإنِّي سَألْتُ رَبِّي لِأُمَّتي أنْ لا يُهْلِكَها بسَنَةٍ عامَّةٍ، وأنْ لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِن سِوى أنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وإنَّ رَبِّي قالَ: يا مُحَمَّدُ إنِّي إذا قَضَيْتُ قَضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ، وإنِّي أعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أنْ لا أُهْلِكَهُمْ بسَنَةٍ عامَّةٍ، وأنْ لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا مِن سِوى أنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، ولَوِ اجْتَمع عليهم مَن بأقْطارِها، أوْ قالَ مَن بيْنَ أقْطارِها، حتّى يَكونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٨٩ • [صحيح]

٥ [عن معاذ بن جبل:] صَلّى رسولُ اللهِ ﷺ صَلاةً فأحسَنَ فيها القيامَ والخُشوعَ والرُّكوعَ والسُّجودَ، قال: إنَّها صَلاةُ رَغَبٍ ورَهَبٍ، سَأَلْتُ اللهَ فيها ثلاثًا، فأعطاني اثنتَينِ، ورَوى عنِّي واحدةً؛ سَأَلْتُه ألّا يَبعَثَ على أُمَّتي عَدوًّا مِن غيرِهم فيَجتاحَهم، فأعطانيه، وسَأَلْتُه ألّا يَبعَثَ عليهم سَنةً تَقتُلُهم جُوعًا، فأعطانيه، وسَأَلْتُه ألّا يَجعَلَ بَأسَهم بينَهم، فرَدَّها عليَّ.
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ٢٢١٢٥ • صحيح لغيره • أخرجه ابن ماجه (٣٩٥١)، وأحمد (٢٢١٢٥) واللفظ له

وقفة سريعة مع الآية: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}

هناك ثلاث حالات؛ حالة اللبس التي تغشى الإنسان، وأنه لا يعرف الحق من الباطل؛ عندما تحدث حالة اللبس ننقسم بعدها إلى التشيُّع (الفرق المتناحرة)، عندما توجد هذه الحالة يأتي كل إنسان منّا وعنده طاقة، عنده بأس، أين يذهب بهذا البأس؟

حينما تتابع مثلًا –وهذه من الأشياء التي تدخل السرور على الإنسان– كمية الكوادر والنخب المتصدرة، وإمكانياتهم، فأنت تسعد أن هؤلاء ينتمون لأمة الإسلام.

سنختار مثلًا باب الرد على الإلحاد، فعندما تتابع الجهود المبذولة في الرد على الإلحاد –وأغلبها ذاتي وليس مؤسسي–، أي ليست مدعومة من دول بل هي جهود فردية.

كم المراكز، والأبحاث، والكتب، والبرامج التي أُنتِجَت، والمبادرات التي أُقيمَت في الرد على الإلحاد غير طبيعي، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أسأل الله –عز وجل– أن يحفظ القائمين على مثل هذه الأمور، سواء مركز يقين، وصناعة المحاور، ودلائل، وغيرها؛ عدد الناس المتصدرة –بفضل الله– في هذا الباب يبعث على البهجة والسرور.

فكل إنسان عنده بأس، وهؤلاء –بتوفيق من الله– وجَّهوا أسهما للرد على الإلحاد، الإشكالية عندما يوجَّه هذا البأس للداخل وليس للخارج؛ مثل الجسم المصاب بمرض مناعي، فبدلًا من أن يوجِّه الجسم مناعته للدفاع عن نفسه من خطر الأمور الخارجية، يبدأ في التآكل ومهاجمة نفسه، وهذه مشكلة.

كل إنسان له بأس، تكمن الإشكالية في المكان الذي سيوجَّه إليه هذا البأس.

يخبرنا الله –سبحانه وتعالى– أن الإشكالية تحدث عندما توجِّه تلك الكوادر بأسها إلى بعضها البعض، بدلًا من توجيهها إلى الإصلاح {ويذيق بعضكم بأس بعض}؛ أي يوجه بأسه في الخلافات.

هذه مشكلة تحدث كثيرًا -انشغالنا بالصراعات مع بعضنا البعض-، وهذا يشبه أحد تحليلات أسباب الفتنة في مقتل عثمان -رضي الله عنه-، وهو أن السنوات الأولى -الست الأُوَل- من خلافة عثمان -رضي الله عنه- كان هناك انشغال بالفتوحات، وعندما توقفت الفتوحات انشغل الناس ببعضهم، فبدلًا من أن تتجه الفتوحات للخارج، اتجهت الحرب للداخل وظهر الخوارج.

هذه كانت من أوائل الفتن الموجودة التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحذِّر منها، وقال -صلى الله عليه وسلم- (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدُه الْمُصَلُّونُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)[٦]؛ يعني أن الشيطان يئس أن ترتد أمة الإسلام كلِّها، هذا لن يحدث؛ إذًا ماذا يفعل الشيطان؟ حرَّش بينهم، قال لن أستطيع الدخول لهم كلهم -المسلمون- من مدخل الشرك، أبحث عن مدخل آخر إذًا، ما هو؟ التحريش بينهم.

إذًا الخلاف سيظل موجودًا، ولن ينتهي، سيظل قائمًا، الفكرة في إدارة هذا الخلاف وترتيب أولويات هذا الخلاف.

من أقرب في الموالاة؟ ومن تُعادي؟ على أي أساس توالي وتعادي؟ على أي أساس نختلف؟ على أي أساس أقمت اختلافك مع فلان أو فلان؟ على أي أساس تكره فلانًا أو تحبه؟ على أي أساس؟

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل عُرى الإيمان)[٧].

هل الاختلاف إشكالية؟

تكلمنا في النُخَب والاختلاف، يبقى السؤال: هل هذه إشكالية؟ هل الاختلاف إشكالية؟ هل تَراه إشكالية؟

٦ [عن جابر بن عبدالله:] إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨١٢ • [صحيح]

٧ [عن أبي أمامة الباهلي:] مَن أحبَّ للهِ، وأبغَضَ للهِ، وأعْطى للهِ، ومنَعَ للهِ، فقد استَكْمَلَ الإيمانَ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ٤٦٨١ • صحيح • أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني (١٥٩/٨) (٧٦١٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣١٤/٦)

سألت هذا السؤال لبعض الشباب، والحقيقة أن الإجابات كانت متباينة، هناك شخص يرى أنه مفيد جدًا، وشخص يرى أن هذا الاختلاف مفسِد، وآخر يرى أن هذا الأمر يتوقف على المختلَف عليه وشَخص المختلفين؛ النقطة المهمة -كما قلت لكم من قبل وهي من محاور الدرس- أن الاختلاف تظهر منه عبوديات كثيرة، وأحيانًا العقل القاصر يتساءل لماذا لم ينزل الدين في قمة الوضوح حتى لا يكون هناك أي اختلاف؟

هذا شخص لديه قصور في التصور؛ عندنا دائمًا مِثاليَّات في التصور، هذا الشخص متصوِّر أن الناس كلهم متجانسون في مكان واحد، ويحبون بعضهم، والحياة كلها سلام، هو لا يفهم العبوديات الناشئة من هذا الاختلاف، هو غير متصور وجود الشيطان، ولا يتصور الغاية من خلقنا، فهو لا يفهم معنى العبودية؛ فتجد أنه يريد إخفاء كل المشاكل، ماذا تريد أن تواجه في الحياة إذًا؟

لا تريد شهوة؟ ولا تريد خلاف؟ ولا تريد أن توجد منازعات؟ هذا وصف الجنة، عليك بالتوجه إليها مباشرة إذًا!

لكنَّ **الدنيا دار بلاء، والخلافات من هذه الابتلاءات، تظهر من خلالها عبوديات** -حتى على مستوى أهل العلم- مثلًا كيف يبحث في النص؟ وكيف يُحقِّقْ الحديث؟ ماذا سيفعل عند الاختلاف؟ هل سيتبع هواه؟

الإمام المعلَّمي اليماني له كلام رائع -أظن في كتاب القائد لتصحيح العقائد- أنه أحيانًا وهو يحقق مسألة قبل أن يصل للنتيجة يكون هواه أن تكون النتيجة في اتجاه معين؛ تخيل عندما يفاجَأ أن الحديث الذي يؤيد رأيه ضعيف، ماذا سيفعل؟ أو أنه اكتشف أن رأي العالِم المخالف له هو الصواب، ورأيه خطأ، ماذا سيفعل؟

بل تخيل أن العالِم المخالف له تعامل معه بأسلوب سيء، ماذا سيفعل؟ وهو -الإمام المعلَّمي اليماني- بالرغم أن ذلك العالِم مخالف له، بل وأساء إليه، من المفترض أن يعترف له أن الصواب معه.

هذه عبوديات ضخمة تظهر في الخلاف، لا يعلمها إلا الله -سبحانه وتعالى-، من هذه العبوديات: حفظ اللسان، والمسامحة الأخلاقية، وغيرها الكثير، إذًا هل هذه إشكالية؟

قلنا من الممكن أن يستفيد الإنسان من تلك الإشكاليات، ومن الممكن أن تسبب ضياع الناس.
سنتكلم الآن على قصة انتشار النخب الموجودة حاليًا، وأسبابها.

المجتمع المسلم دائمًا –وهذا يتطلب استقراء في التاريخ– يتغيَّر كل فترة؛ بمعنى أن هناك أحداث كثيرة تعيد هندسة المجتمع، فيتغير شكله؛ مثلًا: المجتمع قبل الخلافة العثمانية يختلف عن بعد الخلافة العثمانية، يختلف عن شكله في وجود محمد علي ومجيئه لمصر وسقوط الخلافة وتشكل الدول الحديثة.

تأخذ المجتمعات فترة طويلة أحيانًا حتى تتغير، ولكنِّي هنا أتحدث عن شكل المجتمعات التي تريد أن تعمل للدين، خاصةً في غياب الدعم من الدول الكبيرة، بعض هذه المجتمعات –خاصة بعد سقوط الخلافة– رأى الناس فيها أن الإسلام ينهار وأرادوا إعادة الإسلام، فكلٌّ منهم كان لديه بعض التصورات؛ كان هناك ذاتية في التصورات، نفَّذ أحدهم فكرة إنشاء الجامعات، وآخر نفَّذ فكرة إنشاء المؤسسات التعليمية، كلُ واحدٍ منهم يريد أن يعيد الدين بتصورٍ معين، فنشأت تصورات مختلفة حتى وصلنا لحالة (عدم التصدُّر) –وتحدثت عنها في درس أنماط التدين المعاصر–؛ لا يوجد شيوخ كبار يتصدرون المشهد، منذ فترة كانت الكوادر قليلة ومحدودة ومعروفة، حاليًا الأمر ليس كذلك

أنا الآن أصف الحالة، ولا أتحدث عن الإيجابيات والسلبيات، الآن حدث تشظِّي لهذا الأمر، تعددت النخب والتيارات والانتماءات، ولا يوجد ما يسمى بـ (الكتل الصلبة)، بدأت تظهر مجموعات صغيرة، وهنا بدأ وجود النخب الكثيرة.

الجهود الذاتية

سأذكر الجزء الإيجابي الناتج عن هذا التعدد؛ وهو أن كثير من الناس بدأ يشعر بأن هناك واجب ذاتي تجاه نصرة الدين.

ماذا يعني ذلك؟

هذا الكلام يعني أنه عندما كان شخص منتميًا لشيخ، لمدرسة، لجماعة، كان يرى أن دوره في نصرة الدين أنه ضمن هذه المنظومة وحسب، لكن أن يُقدم هو طرحًا ذاتيًا كبيرًا، لا، لا يفعل شيئًا.

سأعطي مثالًا: تخيل حالة العلماء المسلمين عندما أحسوا في بداية كتابة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بدأ يحدث إحساس أن هناك أحاديثًا موضوعة تُكْتب وأناس تقول أحاديثًا تكذب فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، هنا حدثت انتفاضة ذاتية للدفاع عن سنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، بمعنى أنه لم يكن هناك جهود مؤسسية دولية، أنها تقسم مثلًا: يا بخاري خذ هذه المنطقة، وأنت يا مسلم تأخذ هذه المنطقة، ونقسم أنفسنا. لم يحدث ذلك، بالعكس لو كان هذا حدث لكانت الشبهة التي تقال كان ممكن أن تُؤكد، التي هي شبهة تسييس العلم، التي دائمًا المستشرقين -كما يقول إبراهيم السكران -وهما شبهتان مشهورتان؛ إما تسيس العلم أو استيراد العلم؛ إما أتينا به من أمة أخرى، أو مُسَيَّس.

أي أن الفقهاء لا يجلسون مع بعضهم لينسقوا فَتوى، لا يجلس يقول ماذا ستقول في هذه؟ أنت قُلْ الاستحباب وأنا أقول الكراهة بحيث نوازنها، لا، لا يفعلون هذا إنما هي جهود ذاتية.

فتخيل حالة هذا، وحالة شخص منتمٍ لمدرسة علم الحديث، تخيل وجود مدرسة اسمها مدرسة علم الحديث وهو في السنة الأولى، هو لا يشغل باله، ممكن ألا يذاكر، ممكن لا يُحَضِّر لشيء، ممكن ألا يبتكر موضوعًا جديدًا، لو أراد ترقية يبحث عن أحد عمل موضوعًا قبله يقلده، يعطي أموالًا لأحد يقوم له بعمل الرسالة، هو لا يشعر أن الدنيا ستنهار لو أنه لم يتحرك، الإحساس الأول هو ما حدث عند كثير من الشباب الأفاضل -جزاهم الله خيراً- أنهم **أحسوا أنه أصبح هناك مسؤولية ذاتية لنصرة الدين فبدأ ظهور جهود ذاتية كثيرة.**

وكما ذكرتُ مثلًا نموذج الإلحاد، جهود ذاتية، هو يشعر أنه لا يوجد دُوَل ضخمة تتبنى الرد على الإلحاد، سنصمت؟ لا، بل نتحرك، فبدأ هو يتحرك ذاتياً ويُكلم هذا ويُكلم هذا: نقوم بمبادرة، أم نفعل شيئًا على التليجرام، أو على الفيس بوك، نقوم بإنشاء منصة تعليمية؟ جهود ذاتية كثيرة بدأت تنشأ.

منذ عدة أيام مضت كتبت منشورًا أريد أن أجمع المبادرات العلمية أو الدعوية الموجودة، أنا فوجئت -ما شاء الله لا قوة إلا بالله- بكم المبادرات الفردية الموجودة، عدد ضخم كلها مبادرات ذاتية؛ أي أنها جهود أفراد أحسوا أن هناك انهيارًا، هذا كان غالباً -ليس مستحيلًا- لم يكن بنسبة كبيرة موجودًا في وجود الكتل الكبيرة، لأن كل واحد يَتّكل وينتمي لجماعة، ينتمي لشيخ، وأنا ماذا لي، أنا دوري أذهب إلى الدرس ثم أعود لبيتي.

لكن عندما انهدم هذا أو قَلّ بنسبة ما، فبدأ كل واحد يشعر أنه يحتاج أن يقدم شيئًا، ففلان أحس أنه مُطَالب بعمل شيء في اللغة، وفلان أحس أنه مطالب بعمل شيء في المذهب الشافعي، وفلان مطالب بعمل شيء في المذهب الحنبلي، وفلان يريد أن يقدم شيئًا في التفسير، وفلان يريد أن يقوم بعمل في الرد على الإلحاد، وفلان يريد فعل شيء في التربية، وفلان يريد أن يفعل شيئًا للدعوة؛ فنشأت مبادرات كثيرة جدًا وهذا الجانب الإيجابي الذي يدل حقًا أن الخير في هذه الأمة.

إيجابيات وسلبيات النخب الأَنْوِية

فظهرت نخب كثيرة كما نرى الآن، أعداد كثيرة والتمركزات التي حولهم لم تعد الأعداد الضخمة التي كانت في قديم الزمان، لكن أصبح هناك مجموعات صغيرة حول هذه التي ممكن نسميها نخب أَنْوِية (جمع نواة).

وهذا من التحديات التي تواجه العاملين للدين، يحتاجون أن يفكروا في تصور جديد، التصورات القديمة سواء الشخص الفرد أو الجماعة أثبتت بنسبة ما فشلها، فنحتاج تصورًا جديدًا ليَجمع هذا التشظي وهذا الشتات، وليس يَجمع -بالتصور المثالي- الجميع معاً، هذا لن يحدث، أن يصبحوا كلهم شيئًا واحدًا، لا، هذا لن يحدث وهذا سنتكلم عنه -إن شاء الله- إذا وصلنا له في مسألة العلاقات بين النخب، العلاقات الأفضل -إن شاء الله- بين النخب المتصدرة.

هذا تحدي، ماذا يعني تحدي؟ مثل: نشأة كتابة علم الحديث، نشأة علم أصول الفقه، هذه كانت تحديات تواجه أهل العلم يجدون أيدٍ تعبث فيضعون لها قوانين.

كأول مرة بدأ ينتشر اللحن، وكانت اللغة بالسليقة وبالسماع، وباستعمالات العرب وحفظ الشعر، فلما بدأ اللحن ينتشر قالوا: لا، لا بد من وقفة، نضع قواعدًا. فهذه تحديات تواجه المجتمع المسلم فيبدأون بالتفاعل مع التحدي.

فمن التحديات التي تواجهنا: ما هو شكل المجتمع الأفضل؟ ما هي العلاقات الجيدة التي يمكن أن تتصدر؟ أي علاقة الشيخ الذي ليس له علاقة بأحد ومنطلق كفرد وحوله مجموعة وفقط، أو علاقة الجماعات.

مثلًا: المهندس أيمن كان له تصور عندما كتب ثلاث مقالات "معًا لحل الجماعات الإسلامية" هل هذا التصور يُنْقد، أو يُقَوَّم، أو هل يصبح محل اجتهاد؟ بحيث أننا في حاجة لأن نقدم تصورات جديدة لهذا، وهذا من أسباب الخلاف الموجود الآن.

حالة الانتشار الذاتي للنخب أحدثت جهودًا كثيرة فحققت جزءًا إيجابيًا أن الشخص قد يبدع، لأنه كما قلت لكم أن الانتماء لمؤسسات معينة –وهذا بالمناسبة كلمة مشهورة، كان بيجوفيتش دائماً يقول إن المؤسسة تقتل روح الإبداع والثورة–؛ أي أنك وأنت في ظل واقع روتيني معين تترقى بصورة معينة فلا يوجد إبداع، لا تجد الشخص يخرج بفكرة إبداعية، وكما كنت أسمع أحد الذين يتكلمون في التاريخ أن غالب من قاموا بإبداع وضعوا تصورات كانت مرفوضة في البداية، التصور السائد كان يرفضها.

بل غيره، والذين تكلموا في بِنية الثورات العلمية، قالوا أنه حتى في العلم تظهر فكرة غريبة مستنكرة ثم يتم تأكيدها، خلاف السائد.

هذا يحتاج نوعًا من التطوير إلى حدٍ ما، الناس وجدوا أنفسهم وحدهم فأصبحوا يريدون أن يفعلوا شيئًا، يريد أن يعلم الناس، وهذا أدى بالفعل إلى مبادرات كثيرة جميلة جداً، لكن هذا أحدث مشكلة عند كثير من الشباب والتي هي حالة الشتات، يقول لك: أنا لا أعلم. أبسط مثال عندما كتبت المنشور أريد أن أجمع المبادرات العلمية والدعوية وجلست أقرأ، حقًا الشخص قد يتشتت، لو لم يكن هناك مشورة، توجيه تربوي معين، نضج، فهم، رضا.. لأن غالب الناس يطمع.

يقول لك :–وهذه سنتكلم عنها في النهاية– أنا أريد أن أكون مثل كل هؤلاء، أنا أريد أن أكون كفلان في الاقتصاد، وفلان في الفقه، وفلان في السياسة، أريد أن أكون مثل كل هؤلاء، وهذا كالطفل الذي يريد أن يكون مثل الأبطال الخارقين، الأمر يحتاج أن يمتلك الإنسان نضجًا في التعامل مع حالة الشتات.

إذًا؛ هذا الموضوع فعل شيئًا إيجابيًا لكن كان له حالة سلبية، والذي زاد في السلبيات وجعلنا اليوم نقول إن هناك إشكالية تسمى إشكالية اختلاف النخب، –وهذا ذكرته أيضًا في أنماط التدين المعاصر–، أن حالة الهزيمة واليأس تجعل بأسنا بيننا شديدًا، مع حالة قلة العلم، التشجيع الزائد –وهذا جزء كبير سنتكلم عنه– أن جزءًا كبيرًا من المشكلة أحيانًا يكون فيمن هم حول الشخص وليست في الشخص

نفسه، التي نسميها ظاهرة "الألتراس" الذين حوله، هذه هي التي تسبب مشكلة، غلبة روح الانتقام، انتشار سوء الظن وسنتكلم عن هذا إن شاء الله.

زيادة المواهب هل هي زيادة في الإنتاج؟

أشياء كثيرة جعلت الشيء الذي يمكن أن يكون إيجابيًا قويًا يصبح سلبيًا، مع أنه كما قلت لك أنت عندما تجمع أسماء وتكتب ورقة بأسماء الكوادر الموجودة على الساحة الآن في الفروع المختلفة –في العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية وغيرها–أنت تنبهر بكمية الأسماء الذين ينتمون لهذا الدين العظيم.

لكن هذا يحتاج إدارة كيف يتعاملون مع بعضهم البعض، مثلًا قدرًا سبحان الله رأيت حلقة للدحيح كنت أشاهد شيئًا وانتهى ففتحتْ تلقائيًا الحلقة التي بعدها وكنت مشغولًا بشيء ففوجئت بالحلقة، فالحلقة أعجبتني جدًا بالرغم طبعًا من تفاهة المحتوى وأنه يتكلم على فرق الكرة وفرق السلة و.. و..، لكن أنا أتكلم –طبعًا مع اختلافي مع الدحيح عنده إشكالية معينة وخاصة بعض التصورات التي قدمها في تبني العَلْمَويّة بصورة مضادة للدين وعدم إدخال الدين في النقاشات، لكن الحلقة اليوم ليست عن الدحيح، لكن الخلاصة الحلقة كانت تتكلم كيف أن فريق كرة يكون به مواهب كثيرة ولا يحقق إنتاجًا، ويكون هناك فريق كرة المواهب به قليلة ويحقق إنتاجًا، وفريق كرة ثالث المواهب غير موجودة فلا يحقق شيئًا.

كان يحلل كتابًا أظن أن اسمه الأصدقاء والأعداء –شيء قريب من هذا–، الكتاب يقوم بعمل دراسة فكرتها أن وجود مواهب في فريق واحد هذا يزيد إنتاج الفريق إلى أن يصل إلى عدد معين من المواهب وإلى حد معين وعند زيادة عدد المواهب بصورة أكبر منها تُحْدِث أثرًا عكسيًّا؛ أي عندما توجد مواهب كثيرة زيادة عن اللازم، مثلًا لو هناك فريق كرة فيه سبعة مهاجمين أقوياء فقال إن هذا يزيد من التنافس ويقلل التعاون، فيتشاجرون مع بعضهم.

طبعًا هذا التحليل وخاصة وهو ينقل من كتاب غربي يتعاملون مع ظواهر كأنها ظواهر مادية أن زيادة المواهب تؤدي إلى زيادة التنافس. لكن نحن لدينا معانٍ دينية من المفروض أنها تنظم هذا، لذلك حتى عندنا في علم الأدوية ونحن نشرح للطلاب نسأل: هل استعمال أكثر من دواء في وقت واحد شيء جيد؟ أي هل وجود أدوية قوية مع بعض نعطيها للشخص هل هذا شيء جيد أو شيء سلبي؟

نشرح لهم معادلات بسيطة فنقول:-

- أحيانًا واحد زائد واحد يساوي اثنين.
- وأحيانًا واحد زائد واحد يساوي صفر.
- وأحيانًا واحد زائد واحد يساوي عشرة.

أي من الممكن دواء مع دواء لا يفعلوا شيئًا، لا يظهروا نتيجة، هذا الدواء قام بعمله وذاك الدواء قام بعمله ولم يفيدوا بعضهم، وقد يضادون بعضهم، وقد يساعدون بعضهم بطريقة قوية جدا ويصبح الناتج عندنا تقوية غير طبيعية.

بعيدًا عن كل هذا نحن عندنا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يد الله مع الجماعة)[٨]. وهذا الشيء لا يوصف، كيف أن الله -سبحانه وتعالى- يُحب أن يجتمع المؤمنون، لذلك العبادات الكبيرة بصورة جماعية، الصيام والحج والعمرة، والتعاون الذي بين المسلمون... الزكاة وصلاة الجماعة هذا تدريب كيف يصبح بيننا قسط تعاوني، وبعد ذلك قسط فردي، أنت حر، (فليصلِ وحده ما شاء).. النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (فليطيل وحده ما شاء)[٩]، أي أنت عندك جزء مهم أن تدرب نفسك به على التجمع مع المؤمنين.

فأحيانًا كثرة النخب مع عدم وجود فقه ونضج يأتي بأثر عكسي، يأتي بتنافس، يولد حسدًا وحقدًا -نحن بشر-، وضغائن وصراع القرائن، ووجود في نفس الزمان والمكان وكما يقولون: "المعاصرة حجاب"، بمعنى أن الشخص المعاصر لنفس الشخص لا يرى مزاياه، بعد موت الاثنين وبعد خمسين سنة تأتي أناس تقول لك: والله فلان كان مميزًا في كذا، بعدما كانوا يشتدون ويقسون على بعض في الرد، يأتي بعد موتهم بخمسين سنة أو مائتين سنة يأتي واحد يقول: والله فلان كان مميزًا في كذا وعيوبه كذا، وفلان مميزاته كذا وعيوبه كذا، يبدأ الإنصاف، يكون هناك أريحية في التقييم، لكن جو المعاصرة دائمًا فيه نوع من الحجاب في رؤية مزايا الآخرين.

٨ [عن عرفجة بن شريح أو ضريح أو شريك:] سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وهَنَاتٌ، فَمَنْ رأيْتُمُوهُ فارقَ الجماعَةَ، أوْ يريدُ أنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةِ محمدٍ كائِنًا مَنْ كان فاقْتُلوهُ؛ فإنَّ يَدَ اللهِ مع الجماعةِ، وإنَّ الشَّيْطانَ مع مَنْ فارقَ الجماعَةَ يَرْكُضُ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٣٦٢١ • صحيح • أخرجه مسلم (١٨٥٢)، وأبو داود (٤٧٦٢)، وأحمد (١٨٩٩٩) مختصراً، والنسائي (٤٠٢٠) باختلاف يسير

٩ [عن أبي هريرة:] إذا ما قامَ أحَدُكُمْ لِلنّاسِ فَلْيُخَفِّفِ الصَّلاةَ فإنَّ فِيهِمُ الكَبِيرَ، وفيهِمُ الضَّعِيفَ، وإذا قامَ وحْدَهُ فَلْيُطِلْ صَلاتَهُ ما شاءَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٤٦٧ • [صحيح]

قبل أن نختم بنصائح للنخب والمتابعين أنا قلت سنتكلم على ثلاث نقاط مهمة:

هناك حالة –تحدثت عنها من قبل– صعود المدرسة النقدية والولع بالتصنيف؛ أي نحب أن نصنف الناس هذا يتبع كذا، أي أحد يتكلم هذا ما انتماؤه ومن يتبع؟، نحب التصنيف والنقد.

وأكثر من أحد من الأفاضل تكلم عن صعود المدرسة النقدية وأن المدرسة النقدية هامة، المدرسة التحليلية النقدية هامة كمدرسة المسيري في تحليل المجتمع الغربي مهمة، لكن عندما تزيد عن حدها وتتجه إلى الداخل بزيادة وفي فترات هزيمة ويأس نادرًا ما يكون فيها نوع من الإنصاف.

النقطة التي أريد أن أقولها في مسألة المدرسة النقدية هذه نقطة واحدة فقط، معلومة مهمة؛ هي أن **تحويل الكلام النقدي إلى واقع أحيانًا يحتاج إلى سنوات من البذل**، وهذا الذي يجعل أحيانًا قطيعة تحدث بين الحَرَكيين والعِلْميين عدم فهم طبيعة الواقع، وأحيانًا المشكلة تكون عند الحركيين،وقد تكون المشكلة عند هذا أو ذاك، تحويل الكلام النقدي إلى واقع يحتاج إلى سنوات من البذل، القرآن –هذا الكلام الذي تكلم به الله سبحانه وتعالى– حتى يصبح واقعاً استغرق ثلاثة وعشرين عامًا من البذل المتواصل.

أحيانًا تقابل شخصًا ممن يعملون في الواقع ويحرق نفسه في العمل، يشبه الذي لا ينام فتقول له: أريد أن أجلس أتناقش معك في بعض الأطروحات أريد أن أقولها لك، فتجده زاهدًا، أنت تستغرب، لكن هو يعلم أن الكلام سهل، المهم من الذي سيحمل هذا؟

وهذا ليس معناه أننا لا نسمع أطروحات، وهذا أحيانًا من الإشكاليات عند بعض العاملين للدين أنه لا يريد أن يجدد من نفسه أو يسمع، لكن الطرف الآخر الذي يتكلم كثيرًا تتمنى أن تقول له –مثل الذي يشاهد مباراة كرة ويقول وكأنه يحدث اللاعب–: "استدر وسدد"، "سدد" هذه تقولها وأنت جالس مستريح، وهذه تحتاج إلى تدريب شهر، أنت إذا حاولت فعلها ستسقط على الأرض وتصاب ولن تقوم.

فأحيانا أنت تجلس وتشاهد الدعاة وتقول: كان المفروض أن يقول كذا. نعم هو صحيح لا بد أن يُنْقد ويُقَوّم، لكن أحيانًا أنت لا تفهم تبعات "لا بد أن يفعل كذا وكذا ويُحَصِّل كذا ويفعل كذا"، الذي تقوله

جميل ولكن من المهم أن تفهم أن تحقيق هذا يحتاج سنوات؛ أي أنه قد تكتب أطروحة في ورقتين وتطبيقها على أرض الواقع يستمر خمس أو ست سنوات.

فمهم أن هذه النقطة تكون أنت على وعيٍ بها فقط، لا أقول أنها تؤثر على النقد أو غيابه، لا بل يظل موجودًا، لكن مهم استيعاب هذا الأمر.

لا بد وأن هناك حق

النقطة الثانية المهم أن نستوعبها قبل النصائح، فأحدهم يقول لك: بما أن هناك اختلاف و... أنا سأكون النموذج المحايد. لدرجة أنه يريد أن يصل لحالة من الحياد المتَوَهّم، تأتي مثلًا لتكلمه عن الضلال الموجود بأطروحات شحرور مثلًا أو عدنان إبراهيم أو غيره، يقول لك: لا أنا سألتزم الحياد. أنت فهمت التعامل مع الاختلاف خطأ.

كلما تحاول أن تأتي له بنقد لبعض الأطروحات الموجودة يقول لك: لا. ويرد عليّ بكلامي أن تحويل النقد إلى واقع يحتاج إلى سنوات وصعود المدرسة النقدية، وأنماط التدين المعاصر، ويتكلم ببعض كلامك ولا يريد أن يسمع، لا، **لا بد وأن هناك حق والفكرة في كيفية الوصول إلى هذا الحق، تحصيل الأدوات**، الصدق، الرغبة، كل هذا يجعلك معذورًا أمام ربنا –سبحانه وتعالى– إن لم تصب الحق، لكن أنك تصل إلى حالة من الحياد المتَوَهم، وأنه لا يوجد أي أحد مخطئ، لا بل هذا خطأ، أنت لا بد أن يكون لك انتماء معين.

مثلًا من النماذج التي أحبها وأرى أنها نماذج فعالة ومنتجة هو الشيخ أحمد السيد وأطروحاته التي يقدمها من رسائل للجيل الصاعد، برنامج صناعة المحاور. هو دائمًا شخص يريد أن يحفز الشباب، هل هذا الرجل ليس له انتماءات؟ لا، له انتماءات، ينتمي لمدرسة عقدية معينة وفكرية معينة، هو إذا فتح باب النقاشات أو عندما يفتح في الخاص له ردود وله انتماءاته بالطبع –وأي شخص هكذا وأنا كذلك–.

لكن توظيف هذا، متى؟ وأين؟ ويُقال ردًا على من؟ ويُقال أين تحديدًا؟ لأن هذه مشكلة... انتقال الخلافات إلى واقع لا يصلح فيه الخلاف كالسوشيال ميديا.

كانت الخلافات قديمًا في المكتبة، في الكتب بين أهل العلم.

حاليًا الخلافات في الشارع- على الملأ-، كأنك تسير في الشارع فتجد شجارًا فتوقف السيارة وتنزل رغم أنك ليس لك أي علاقة بالموضوع ولكن هناك شجار!

مثل مرة من المرات كنت أسير في استاد الجامعة... فوجدت زحامًا بصورة غير طبيعية، فقلت: ربما تكون حادثة أو أحد توفي، ووجدت بنات كثيرات يخرجن من الجامعة، وجدت مجموعة بنات فسألت واحدة منهن: ماذا هناك؟ قالت لي: شجار! إذًا هو شجار، فإلى أين أنتِ ذاهبة؟ وكنَّ في قمة السعادة وذاهبات ليشجعن!!!

بالضبط هكذا، هناك شجار بين الشيخ فلان والشيخ فلان، فيتابع وينشغل، فما هو عمله في هذا الشجار؟ ربما يكون بالأصل لا يفهم العنوان.

أعجبني جدًا أحد التعليقات على منشور نشرته منذ بضعة أيام، وكان التعليق فيه كم وضوح مع النفس بصورة غير طبيعية -جزاه الله خيرًا-، كان المنشور عن سلسلة للشيخ العجيري: إشكالية التوظيف الحداثي- قضية المقاصد أو نظرية المقاصد خاصة عند الإمام الشاطبي وقبله الإمام الطوفي، وكان نشر هذه السلسلة مهم للأخطاء التي وقع فيها أستاذ دكتور ميسوني في المغرب، وخاصة لأنه تصدر لاتحاد علماء المسلمين في تأييده لمسألة عقدية في قمة الخطأ واستغل باب المقاصد لأن هذا بابه للأسف، فكان نشر هذه السلسلة الآن مهمًا؛ حتى يكون عند الشباب المهتم بهذه القضية أو بالرد على الدكتور الميسوني يكون عنده أدوات الرد -وليس الرد من أجل الشجار-، فأحد التعليقات كان يقول: من لا يفهم العنوان ليس له علاقة بهذه الإشكالية، صحيح؟ نعم، هو كذلك بالضبط.

فما لك أنت ومال هذه المشكلة؟ وأيضًا مثل من دخل في مشكلة كانت حدثت بين شخصين بدون ذكر أسماء في مسألة تسلسل الحوادث مثلًا في العقيدة، فما لك أنت ومال تسلسل الحوادث؟ ما لك أنت؟ ما لك أنت ومال هذه القضية؟ وهذا للأسف أصبح ينعكس على كثير من الشباب.

في معرض الكتاب الماضي، حين كان بعض الشباب القلة يقابلوني ويسألوني عن شيء، فكانوا يسألوني عن كتاب في التفسير، أو كتاب في الأسماء الحسنى، أو كتاب في التربويات، أما الآن الناس -وهذه نوعية جديدة لم يكن الواحد يراها كثيرًا قبل ذلك- أصبح الواحد منهم يريد كتابًا يساعده في الشجار

الفلاني، وكأنه يقول: أريد أي شيء، فلا يصح أن أدخل الشجار فارغ اليدين، أعطني أي شيء، فأقول له: ماذا يعني أي شيء؟! فيسألني في مسألة عقدية، فأقول له: هذه لها تدرج معين، وهذا التدرج سيأخذ منك وقتًا حتى أن الشجار قد يكون انتهى، فيقول: أنا محتاج لكتاب حتى أدخل الشجار وأقول كلمتين، فأنت تدخل لكي تتشاجر أم تدخل لكي تصل إلى الله -سبحانه وتعالى-؟!

فهذه إشكالية نقل مكان الشجار، وأحيانًا الشخص يكون مضطرًا. مثلًا شخص فتح حسابًا على أي من مواقع التواصل الاجتماعي وهو شخص علمي يهتم بباب معين هو بابه فهو يطرح هذه القضية... المشكلة فيمن ذهب لمكان ليس مكانه!.

آخر شيء قبل أن نقدم النصائح، وهذا شيء غريب وأيضًا يمس نفس النقطة التي قلتها الآن، وتعجبت أنه انتشر بين الشباب في معرض الكتاب الماضي.. ((إحياء صراعات كلامية كان مكانها الكتب))؛ أي إحياء صراعات لا يحسنها إلا من حصل على أدوات معينة بدأت تُصدَّر لعموم الشباب، مصطلحات كلامية معينة لدرجة أنك تكون مستغربًا من إقحام جزء من الشباب فيها، سواء على المستوى العقدي في المسائل الكلامية أو حتى في مسائل فقهية، مثلًا الشجار المشهور المتعلق بالتمذهب، والشاب تجده أساسًا لا يملك وقتًا ليذاكر فقهًا بدليل ولا فقهًا بتمذهب ولا أي فقه من الأساس، ولكن هذا هو الشجار هذه الأيام فهو يشجع!

وهذا من المفترض شيء مهم علينا أن نضعه في الاعتبار، أنه حقًا للأسف عموم الشباب مشغول، سواء مشغول وقتًا بسبب الأزمات الاقتصادية للواقع المعاصر، أو مشغول بسبب انتشار الشهوات والشبهات؛ كم هائل من الشهوات والشبهات يُفتح علينا بشكل متتابع، يجعل قبوله للبناء الطبيعي والتسلسل الطبيعي في البناء، مع قلة الوقت، مع أنه يريد تحصيل أدوات معينة تنفعه في دنياه حتى يستطيع العيش، كل هذا يجعل وصوله أصلًا لهذه النقطة في الخلاف يستغرق منه سنوات، لكن هو يريد أن يشعر بذاته. فهذه هي الثلاث نقاط التي أردت أن أقولها.

نصائح للنخب

إذًا نبدأ سريعًا نصائح للمتصدرين أو النخب ونصائح للمتابعين:

النصائح للنخب –بالطبع أنا أقل من أن أنصحهم خاصةً أنهم أفاضل فأنا أتكلم عن النخب الحقيقية وليست الوهمية–، لكن هذا من الممكن أن يفيد الجيل القادم –إن شاء الله–.

فأنتم حين يستعملكم الله ويثبتكم ويستخدمكم لنصرة الدين وشخص منكم يُفتح عليه في باب، وأحيانًا يحدث نوع من التصدر التلقائي الذي يحدث بطبيعة الحال، فيفتح على شخص في باب ويُستعمل في باب معين ورغم رفضه للتصدر لكن هو يدفع دفعًا، فهنا حين يأتيه هذا الأمر بدون رغبة أو نية فاسدة يُوفق ويُعان ويُسدد؛ خاصة مع وجود بطانة صالحة ومشورة يُسدد.

فإن شاء الله أنتم حين تتصدرون، علينا أن نتعلم من أخطاء الأجيال السابقة، ويكفي أنك حين تتكلم عن أخطاء المتقدمين الذين سبقوك، فأول شيء عليك أن تدعو لهم {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر: ١٠]، ومهم جدًا أن تعرف كيف تحفظ له فضله، بل تعتبر أن هذا الخطأ الذي تنتقده لولا أنه وقع فيه لما كنت أنت في الطريق الصحيح الآن، كان من الممكن أن تسير على نفس الخطأ لو كنت مكانه وتغير الزمن؛ كان من الممكن أن تكون أنت المخطئ وهو الذي يتعلم من خطأك، فاحفظ له فضله طالما أنه غير متعمد وليس صاحب هوى ولا صاحب طمع دنيوي، فطالما أنت تظن فيه ذلك، احفظ له الفضل وصحح الخطأ وقل: الحق أحب إلينا من فلان، ولا حرج في ذلك.

إذًا حين نتعلم من أخطاء السابقين فهذا يكون مَحْض فضل من الله –سبحانه وتعالى– أنك جئت متأخرًا عنه فهذا فضل من الله –سبحانه وتعالى–. فبما أنك اكتشفت الأخطاء السابقة، إذًا عليك أن تبتعد عنها، وتصلحها وبحزم، وتبيّن الخطأ بوضوح، مع أن تدعو للسابقين مثلما قلت طالما أن خطأه لم يكن بسبب طمع دنيوي ولا اتباع هوى.

النصائح ستكون على أكثر من مستوى:

- على مستوى العطاء: أي الكلام الذي يقولونه.
- على مستوى العلاقات: بينهم وبين بعضهم.
- على مستوى المنتج الذي يقدمونه.

فعلى مستوى العطاء؛ أي الكلام: أول شيء مهم جدًا لمن يتصدر أن **يحفظ فضل الله عليه؛ فهذه نعمة، نعمة سيُسأل عنها**، مثلما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نسأل الله السلامة والعافية: (أول ثلاثة تسعر بهم النار)[١٠] النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (الله -سبحانه وتعالى- يعرفه نعمته عليه ثم يسأله)؛ أي هذا الذي تصدر، ربنا يقول له أنا أعطيتك كذا، علمتك، فهمتك، وصدرتك، فلماذا قلت للناس كذا؟

سيدنا عيسى سيُسأل {ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ} [المائدة:١١٦]. فالمتصدر كذلك سيُسأل لماذا قلت للناس كذا؟ لماذا شغلت الناس بهذه القضية تحديدًا الآن؟ اتباع هوى أم نصرة شخصية أم نصرة دين؟ لماذا فعلت ذلك؟

فاستحضار هذه النعمة مهم جدًا فهي نعمة عظيمة أن تتصدر، أن تصبح معلَّمًا، أن يعلمك الله، أن يفهمك، أن يبصرك، أن تكون حرًا طليقًا ويسمح لك بالكلام، وتتصدر، فهذه نعمة ستُسأل عنها، بماذا شغلت الناس؟

فاستحضار هذه النعمة يجعل الإنسان يفكر كثيرًا قبل أن يشغل الناس بقضايا معينة فهو سيسأل عن ذلك.

ولكن ماذا يفعل؟ قال الله -سبحانه وتعالى-: **{كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ}**، **فعليك أن تربط الناس بالله لا بشخصك، أن تربط الناس بالنص وبالرب لا بالشخص**. كيف يرتبط الناس بالله؟ يكون ذلك

١٠ [عن أبي هريرة:] إنَّ اللهَ إذا كان يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضيَ بينهم ، وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ ، فأولُ مَن يدعو به رجلٌ جمع القرآنَ ، ورجلٌ قُتِلَ في سبيل اللهِ ، ورجلٌ كثيرُ المالِ، فيقولُ اللهُ للقارىءِ: ألم أُعلِّمْك ما أنزلتُ على رسولي قال: بلى يا ربِّ قال: فماذا عمِلتَ فيما علمتَ؟ قال: كنتُ أقوم به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ ، فيقولُ اللهُ له: كذَبْتَ ، وتقول له الملائكةُ: كذَبْتَ ، ويقول اللهُ له: بل أردتَ أن يقال فلانٌ قارىءٌ ، فقد قيل ذلك. ويُؤتى بصاحبِ المالِ فيقولُ اللهُ له: ألم أُوَسِّعْ عليك حتى لم أَدَعَكَ تحتاجُ إلى أحدٍ؟ قال: بلى يا ربِّ ، قال: فماذا عمِلْتَ فيما آتيتُك؟ قال: كنتُ أَصِلُ الرَّحِمَ ، وأتصدَّقُ ، فيقولُ اللهُ له: كذَبْتَ ، وتقولُ الملائكةُ: كذَبْتَ ، ويقول اللهُ: بل أردتَ أن يُقال: فلانٌ جوادٌ ، فقد قيل ذلك ، ويُؤتى بالذي قُتِلَ في سبيل اللهِ فيقولُ اللهُ: فيماذا قُتِلْتَ؟ فيقول: أُمِرْتَ بالجهادِ في سبيلِك فقاتلتُ حتى قُتِلْتُ ، فيقولُ اللهُ له: كذَبْتَ ، وتقولُ الملائكةُ: كذَبْتَ ، ويقولُ اللهُ: بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جريءٌ ، فقد قيل ذلك. يا أبا هريرةَ أولئك الثلاثةُ أولُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بهم النارُ يومَ القيامةِ.
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٧١٣ • صحيح

بارتباطهم بكلام الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–. {كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ} كيف نكون ربانيين يا رب؟ {بِمَا كُنتُم تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُم تَدۡرُسُونَ} [آل عمران:٧٩].

عليك أن تستخدم الأسلوب الذي لا يجعلك المانع والحاجز بين الناس وبين الطريق إلى الله، وهذا ما تكلم عنه بالتفصيل د. فريد الأنصاري في كتاب "التوحيد والوساطة في التربية الدعوية"؛ أن تربط الناس بالنص. كنت تكلمت في درس: "ماذا لو غاب القرآن؟" عن كيف أن النبي –صلى الله عليه وسلم – بتوفيق من الله– نجح في أن أقرب الناس ارتباطًا به وقربًا منه كان أكثر الناس ثباتًا بعد موته –صلى الله عليه وسلم–؛ أي الصِّدِّيق، مع أن المتعارف عليه أو في علاقاتنا يكون العكس؛ يكون الأقرب لشخص ما هو أكثر الناس تأثرًا وانهيارًا عند موته، ولكن ما حدث مع الصِّدِّيق أنه كان الوحيد الذي قام وثبت. قال: ما محمد إلا رسول –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –صلى الله عليه وسلم– نجح في أن يربطهم بالله؛ لذلك الصِّدِّيق استحضر هذه المعاني: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَد خَلَت مِن قَبلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَو قُتِلَ ٱنقَلَبتُم عَلَىٰٓ أَعقَٰبِكُم} [آل عمران:١٤٤].

النبي –صلى الله عليه وسلم– نجح في أن يربط الصِّدِّيق بالله، تخيل وقع هذه الكلمة أصلا على الصِّدِّيق –رضي الله عنه– وهو يحب النبي ويمشي معه طوال الوقت وفي كل مكان ويصحب النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي الهجرة هو الوحيد الذي اصطُفي ليكون رفيق الهجرة، فتخيل حين يقول له النبي أن: (الله –سبحانه وتعالى– اتخذ إبراهيم خليلًا ولولا أن صاحبكم خليل الرحمن لاتخذت منك خليلًا)[١١]؛ أي يقول له أنا لا يوجد مكان في قلبي غير لربنا. لو كان ممكنًا كنت اتخذت منكم خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن. هل تتخيل وقع الكلمة؟ يقول له أنا أريد أن أقترب من ربنا وأنت كذلك يجب أن تقترب من ربنا، لكن أحد أو أهم وسيلة في السير في الطريق إلى الله هي {فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران:٣١] وليس اتبعوني حتى أحبكم، لا بل {يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ}. فمهم جدًا {كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ}.

إذًا قلنا:

- **رقم واحد: استحضار النعمة العظيمة على الإنسان وأنه سيُسأل عن هذه النعمة.**

١١ [عن عبدالله بن مسعود:] أَلا إِنِّي أَبْرَأُ إِلى كُلِّ خِلٍّ مِن خِلِّهِ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَلِيلًا، إنَّ صاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ. مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٨٣ • [صحيح]

- رقم اثنين: {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}.

- رقم ثلاثة: تعظيم قضايا هي جزئية وجعلها قضايا محورية.

وهذا الإشكال حين لا نطبق {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}، فبعض الأفاضل لأسباب غير مهمة يعظّم قضايا هي جزئية ويجعلها قضايا محورية. مثلًا قضية لغوية معينة أو قضية فقهية من الفروع، فهذه القضية تُحرّر ويُجتهد فيها ويُبذل فيها الأعمار، فهذا فعل صحيح، ولكن حين تُصدّر لعموم الناس ويوالى ويعادى عليها، فهذه مشكلة، هناك فارق بين أن نتعامل معها بأهمية ونعطيها الأوقات ويُتخصص فيها، فنعم هذا يُبذل فيه أعمار لتُحفظ الشريعة، لكن أن نصدرها لعموم الناس ونوالي ونعادي عليها فلا، هذه مشكلة.

وهناك كلمة جميلة ولكني لم أحضر معي الكتاب وهو "دلائل الإعجاز" لعبد القادر الجرجاني، في بداية الكلام حتى يعطي مقدمة لأهمية علم البيان -وأسلوبه بالطبع مبهر- تكلم عن أن العلم فضل يدعيه كل أحد ثم تكلم عن أي علم من العلوم أفضل، وقال إن صاحب كل علم -حتى يصرف عن نفسه النقص- يمدح العلم الذي هو فيه، فيقول أن العلم الذي هو فيه هو أحسن علم؛ لأن لا أحد يرتضي لنفسه الجهل أو النقص، فحين يسأل عن أفضل العلوم غالبًا يظل يمدح العلم الذي هو مقيم عليه أو الذي هو يحسنه، ويتهم الآخرين، ثم بعدما كتب هذه المقدمة تكلم أن علم البيان الذي هو متخصص فيه هو أفضل علم، -رحمه الله تعالى-.

المشكلة أن أحيانًا الشخص يعيش قضية، هو حقًا يعيشها، ومسيطرة عليه، ويعيش مسألة معينة مستغرقة عليه حياته، من كثرة عيشه ضمن هذه القضية، ويقرأ فيها، وينصرها، فيبدأ يرى العالم من خلال هذه القضية، حتى أن هذا الأمر ليس فقط في المسائل العلمية، بل بعض الناس الذين يعملون على أرض الواقع، في الحركة، فمثلًا عمل مؤسسة معينة، أو عمل مجموعة معينة، أو عمل فريقًا معينًا، عمل مبادرة معينة، فيبدأ يرى الناس والواقع من خلال هذا العمل، فيعيش داخل هذا الموضوع حتى أنه يقسّم الناس إلى من هم داخل الفريق ومن هم خارج الفريق، تسأله مثلًا عن مكان معين يقول لك: هذا بجانب الفريق، فيرى الحياة كلها من خلال انتماءاته، تقسيم الواقع والمجتمع والناس من خلال انتماءاته، ولكن هذا بالطبع نوع من الولاءات الضيقة.

لا يجوز أن يكون هذا تفكيرنا، خاصةً أنك لا توالي على التوحيد مثلًا، فهناك ولاءات معينة أرادها الله -سبحانه وتعالى- منا، أنك توالي وتعادي على قضايا معينة فهذا شيء أراده الله منا، لكن تضخيم قضايا ليست بضخمة وتصدير هذا لعموم الناس ممن لا يعيشون أصلًا تفاصيل القضية، ولا من المهم لهم أن يعرفوها في مرحلة التيه الحالية فهذا خطأ.

- **رقم أربعة: شغل الشباب عما ينفعهم ويفيدهم بقضايا لا تعنيهم.**

يحدث هذا نتيجة للنقطة الماضية حين تضخم قضايا وتصدر للشباب، للأسف كثير من الشباب ينشغل عن ما يفيده وينفعه، ويبدأ ينشغل -كما تكلمت منذ قليل وسأتكلم عنه في نصائح المتابعين للنخب- عن السير في الطريق الحقيقي.

أحيانًا الشخص يرى بعض المعارك فيستحضر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم -وإن كان الحديث لم ينزل فيهم- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في غزوة الأحزاب حين شغله اليهود عن الصلاة فقال: (شغلونا عن صلاة العصر)[١٢]. بالتقاط هذه الجملة فقط، حين أرى بعض المعارك التي تستهلك شهورًا من أعمار الناس، شهورًا، وهو أصلًا لا يملك فيها شيئًا، وليس له فيها ناقة ولا جمل، أحزن على أعمار الشباب. هذا الشباب الذي يضيع أعماره سيفاجأ أنه سيكبر، ويتزوج، ويعمل، ولن يجد الوقت، سيندم على اللهو اللي كان يفعله وتضييع الأعمار الذي كان يفعله.

فأصبحنا نشغل كثيرًا من الشباب بما لا طائل وراءه. بعض الناس -ولا نريد أن نعمم-، (شغلونا عن صلاة العصر)، فلماذا نشغل عموم الشباب بهذه الشجارات؟ هل هذا ترتيب الأعداء الآن؟ هل هذه هي القضايا المحورية الهامة التي تطرح على الأمة؟ هل هذه هي القضايا التي يحتاج الشباب إلى تبنيها الآن؟

الإنسان يتعجب! ربما يكون الرد لالتماس الأعذار أن يقول: هذا هو تخصصي وهذا هو بابي، فعلينا ألا نعمم لأنه ربما يكون معذورًا، لكن المشكلة في من يذهب إليه، ويعيش هذه القضايا، وينصر هذه القضايا، وهو ليس بابه أصلًا. لماذا تشغل بالك بهذه القضايا؟ ما لك ومال هذه القضايا؟ الإنسان

١٢ [عن علي بن أبي طالب:] عَنِ النبيِّ ﷺ، أنَّه قالَ يَومَ الخَنْدَقِ: مَلَأَ اللَّهُ عليهم بُيُوتَهُمْ وقُبُورَهُمْ نارًا، كما شَغَلُونا عن صَلاةِ الوُسْطى حتَّى غابَتِ الشَّمْسُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤١١١ • [صحيح]

يجب أن يكون متسقًا مع نفسه، ويسأل نفسه: أنا ما لي ومال هذه القضية أصلًا؟ ليست من بابي، كان هذا على مستوى العطاء.

النصائح على مستوى العلاقات

أما على مستوى العلاقات، فإلى أن يوفق الله -سبحانه وتعالى- في تصور لإقامة علاقات جيدة بين النخب المتصدرة على مستوى اختلافاتها، علينا أن نفهم أن:

- **أولًا: {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ} [الحجرات: ١٠].**

أحيانا في زحام النقاشات والاختلافات والقضايا والمناكفات ننسى الأصل، ننسى أن مبدئيًا أنت مسلم وأنا مسلم، هذا مبدئيًا قبل أي شيء، هناك علاقة قوية تربطنا مع بعضنا البعض، فهذا يُنسى! تُقاد معارك ونقاشات وشجارات ويُنسى هذا الأصل في زحام الشجارات، ننسى الأصل أنه مسلم وأنا مسلم، وأننا -إن شاء الله غالبًا- نريد الدفاع عن الإسلام. مثلما فعل شيخ الإسلام حين التمس الأعذار وهو يناقش بعض الفِرَق، قال: "أرادوا صحيحًا ولم يعبروا فصيحًا"، أي هو كان يريد -إن شاء الله- نيته تكون حسنة، وقال إن غالب من تكلموا -كان يتكلم في قضايا كلامية في باب الأسماء والصفات- قال غالب من تكلموا أرادوا التنزيه، وإن شاء الله هم في الأصل يريدون شيئًا طيبا.

فلا ننسى أنه مسلم وأن بيننا علاقة، ونريد هذه العلاقة أن تُعمّق بدون ما ننسى هذا الأصل.

- **علاقات تعاقدية**

بعد استحضار علاقة الإسلام، هناك علاقات أخرى يجب أن تقوم بينهم تحديدًا لأن هؤلاء هم المتصدرون؛ علاقة التشاور والتناصح. هناك علاقات تنشأ ممكن أن نسميها -واستعير هنا مصطلحًا- "علاقات تعاقدية"، فماذا تعني؟

علاقات تعاقدية، ما معنى علاقات تعاقدية؟ مثلًا برنامج كـ "مساق" مثلًا، الأفراد الذين فيه، الكوادر الذين فيه أفاضل، الرابط الذي بينهم البرنامج، ممكن "مساق" هذا ينتهي أو البرنامج ينتهي فينفضوا، هذه علاقة جيدة نوعًا ما، لكن نريد أعلى من هذا؛ بمعنى أنه يتم أحيانًا علاقات تعاقدية على مشروع، هذه علاقة ناضجة، علاقة جيدة، علاقة عمل وليس جدلًا، سنقوم بعمل برنامج تعليمي يُقدم كذا ونريد متخصص عقيدة، ومتخصص فقه، ومتخصص تفسير، ومتخصص دعوة وتربية، يكونون مع بعضهم ويجمعهم نوع من التعاقد الذي يُمكن أن يَنفضَّ مع انتهاء هذا العمل، هذه مبدئيًا علاقة جيدة، لكن أيضًا نريد علاقة أعلى منها، نستصحب أن هناك دورًا أكبر من مجرد الدور الجزئي لكن على الأقل هذا يكون موجودًا، ألا تكون العلاقة مجرد جدال، أعمالًا تُقَدم، مُبادرات تُقَدم،

لكن الاكتفاء بالعلاقات التعاقدية أرى أنه على المستوى البعيد غير جيد، من الممكن أن يُؤدي إلى أزمات أخرى، فمهمٌ أن يكون هناك رابطة بين الناس تتواصل مجرد تواصل، هذا التواصل سيفتح... – وهذه نقطة سنتكلم فيها الآن–.

ما هي القضايا التي تحتاجها الأمة؟

من المستحيل –وهذا من المزايا التي نسيتُ أن أقولها في اختلاف النُخب–، من المزايا الهامة جدًا جدًا، من المستحيل أن أحدًا يُحيط النظر بقضية كبيرة، أكبر مثال على هذا قريب جدًا مثال فيلم "في سبع سنين" للجزيرة، عندما ترى أنواع التناول الذي تمَّ أرى أن هذا شيء جيد؛ لأن كل واحدٍ متميز في باب، هذا نظر من وِجهة الإلحاد، وهذا من وِجهة تربوية، وهذا من وِجهة سياسية، وهذا من وجهة علمية، هذه النظرات المختلفة لا يُحِيط بها أحد، أيُّ باب وخصوصًا القضايا الكبيرة يستحيل أن شخصًا أو فردًا أو جماعة واحدة تُحِيط النظر بها، هذا الاختلاف يجعلك تنظر للشيء من زوايا مختلفة.

وقُلنا إن غالب القضايا هي أشبه بالقضايا الدائرية، فمهما كانت الزاوية التي تقف بها فمن الصعب أن تحيط بها، فتحتاج مَشورة من إخوانك، أبواب مختلفة،

مثلًا كالرسائل التي يضعها الشيخ أحمد السيد (رسائل إلى الجيل الصاعد)، هذا الجيل الصاعد ماذا يحتاج تحديدًا؟ هذا سؤال كبير يحتاج مَشورة، ويحتاج نقاشات، هذا من المفترض أن يحدث بين المتصدّرين حتى لو اختلفوا في النتائج، أحد يرى أن الحل في التصدي للشبهات، آخر يقول: لا، على العكس، الإيغال في الرد على الشبهات هذا يَفتن الشباب أكثر نحن نهتم بالبناء. فيقول له: لا مهمٌ جدًا أنْ نَرد على

الشبهات وأنا قابلت ألف شابٍ ألحدوا؛ بسبب الشبهات". يقول له: وأنا قابلت ألف شابًا كان سبب ثباتهم هو الاهتمام بالبناء وليس بالشبهات. وكل يذكر للآخر المواقف التي قابلها.

أحد الشباب أُسميه "فلان شبهات" كلما يقابلني يقول لي "أسمعتَ آخر شبهة"؟ -كما نقول:أسمعتَ آخر نكتة!-، هو متخصص تجميع شبهات، فمن الممكن أن يكون تعرضه للإجابات عن الشبهات كثيرًا أحدث له رد فعل عكسي، شخصٌ آخر استفاد جدًا، الاثنان وجودهم مهم، هذا معه أدلة حقًا ورأي قوي، وإحصائيات تثبت أن كلامه صحيح.

إذًا نحن نحتاج الاثنين، نحتاج أُناسًا تهتم بالبناء وأُناسًا تهتم بالرد على الشبهات، يُحِيلوا على بعضهم البعض، هذا يبني ويقابله أحد عنده شبهة فيقول له هذا ليس تخصصي اذهب لفلان يرد على الشبهة، فلان يرد على الشبهات والذي يرد عليه قال له: أشعر بقسوة قلب أريد بناء. فيقول له: إذًا اذهب لفلان هذا ليس تخصصي.

فمهم جدًا أن **يكون هناك علاقة أيًّا كان نوع العلاقة: تواصل، تواد، تراحم، علاقات إنسانية؛ كي يحدث هذا التواصل**؛ لأن عندما يحدث -هنا دخلنا على باب العلاقات- عندما يحدث تدابر نحن لا نرى الخير الذي عند بعضنا البعض، عندما يحدث تدابر بين فلان وفلان لا أحد يرى الخير الذي عند الآخر، وليس فقط لا نرى الخير الذي عنده، لا بل ننتقل إلى شيء أسوء ألا وهو سوء الظن، عندما نقرأ كتب المستشرقين في تحليل السيرة -سيرة النبي صلى الله عليه وسلم- أو تحليل التراث تجد أن المستشرق غالبًا عنده سوء ظن، يفسر حدث ما يقول لك هنا غرض سياسي، وهنا غرض طمع دنيوي، هذا المستشرق ليس لديه مصطلح "التضحية لنصرة الدين".

كنتُ أقرأ كتاب لشادي حبيب في الاستثنائية الإسلامية وأنه كان يقابل شبابًا لديهم استعداد أن يضحوا بأرواحهم في سبيل الله فكان يقول وأنا لا أتفهم هذا، كيف يضحي بروحه! لم يفهم كيف يضحوا بأرواحهم، عنده أشياء لا يفهمها.

أصبحنا نفس النفسية التي تُحَلل بسوء الظن بيننا وبين بعضنا، أجد فلانًا عمل شيئًا، سوء الظنّ، في الحقيقة فلانٌ فعل هذا ليتباهى، وفلانٌ هذا كذا وهؤلاء مع الدولار، وفلانٌ هذا معروف هو عميلٌ في الحقيقة، وفلان هذا مُسْتأجر، أصبح مباشرة الاتهامات التي تُلْقى هكذا جزافًا بدون بيِّنات.

وليس مثلًا أحد لديه بيِّنات وقرائن وأدلة لكي يلقي تهمة عظيمة كهذه، لا، والأتباع يكررون، يقول له: "فلانٌ نعم فلانٌ هذا محتال"، (يلقي الكلمة لا يلقي لها بالًا)[١٣]،

فعندما حدث تدابر انتشر سوء الظن.

- **عدم قبول أنصاف العلاقات**

أيضًا مشكلة في العلاقات سواءً على مستوى النخب وحتى بيننا وبين بعضنا، عدم قبول أنصاف العلاقات، افترضنا أننا تناقشنا واختلفنا ولا نستطيع أن نتوصل لحل، مختلفون خلافًا جذريًا في مسألة، خلاف جذري ليس خلافًا كلاميًا أو خلافًا لفظيًا، خلاف كبير في منطقة معينة، حسنًا وبقية المناطق.. بقية العلاقات لماذا تصير صفرًا؟!

مرة أخرى لماذا مبدأ (All or None)؛ لذلك أحيانًا بعض الأشخاص يعرف أني مختلف مع فلان وخلاف كبير وكتبت أرد عليه وهو يرد عليّ في مسألة معينة، ثم يُفَاجأ أن هناك علاقة خاصة بيننا، راسلته أو هو سألني عن شيء فيستغرب!!

الحياة ليست هكذا، ليست قَطِيعة، عندما نختلف في باب ننقل الخلاف لكل الأبواب!، لا، لم هذا الخلاف الذي في هذا الباب وفي هذه المسألة ينتقل لكل شيء، ما زال بيننا الإسلام؛ أي بيننا الإسلام، والسُنِّيَة –اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم–، وكل هذا نحن متفقان عليه، وتعظيم أهل العلم، وكلام السلف، وأهمية نصرة الدين والحُرقة على الذي يحدث للشباب، كل هذا نحن متفقان عليه، نختلف في بعض الاختيارات في المسائل وفي بعض الوسائل، حسنًا...لكن ما زال بيننا جزء كبير متفقان عليه، لماذا نوسع مساحة الخلاف؟! لماذا نعممها؟! علينا أن نضعها في مكانها، ونعترف بها، ونستمر في الخلاف فيها وفي التأصيل وفي الردود على بعض.

هناك شخص لا يستوعب يقول لك: ستصيبني بالجنون! ألستَ كنتَ منذ قليل ترد عليه، كيف تُسَلّم عليه؟! نعم، كنتُ أردُ عليه في هذه المسألة، أنا لم أهجره، طبيعي عندما أقابله أُسلم عليه، أنا انتقدته في

١٣ [عن أبي هريرة:] إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٧٨ • [صحيح]

هذا الباب وقرأت له واستفدت منه في باب آخر، أنا عندما انتقدته انتقدته في باب العقائد –مثلًا– لكن أنا في باب الفقه استفدت منه.

كثيرٌ من الناس كما قلت يريد" جيد أو سيء"، وهذا أصبح موجودًا عند المتصدِّرين أحيانًا، إنْ اختلف في باب ينهي العلاقة تمامًا، لا يوجد أي تواصل، لا توجد أي علاقة!

حسنًا وكيف تُحَل هذه الإشكالية؟ حلها **أن نعترف بالخير الذي عند بعضنا البعض**.

الكلمة المحورية التي قالها سيدنا الخضر لموسى –عليه السلام–، كلمة تُدَرس، شعار، يقول له: (أنت على علمٍ) يعترف بفضله، ثم ينسب الفضل لله (علمكه الله)، ثم يعترف بالنقص الذي عنده (لستُ أعلمه)، إذًا يعترف بالفضل الذي عند الآخر، وينسب الفضل لله، ويعترف بالنقص الذي عنده، (وأنا على علمٍ) يعترف بمميزاته، ليس معنى أني اعترفتُ لك بالفضل أنه ليس لدي شيء، لا، أنا كذلك عندي علم وكذلك ربنا فتح لي (وأنا على علمٍ)، ثم ينسب الفضل لله (علمنيه الله)، وأعترف أنه ليس عندك (لست تعلمه)، إذًا نحن نحتاج لبعضنا البعض الإيمان بالسِّت جُمل السابقة، ومنهم –بالطبع– جملتين بنسب الفضل لله –سبحانه وتعالى–، هذا يمكن أن يكون قانونًا في العلاقات بيننا وبين بعضنا، مهم أن يكون موجودًا.

إن كان موجودًا سنبدأ بإحالة المسائل على بعضنا، أعترف أن هذا ليس بابي، أنت تسألني في باب في شبهة إلحادية معينة، هذا ليس بابي، فلان يرد عليك في هذا الباب، مسألة معينة في تفاصيل في الأسانيد في قضايا في السنة، والله فلان –إن صح التعبير– نخبة أو مرجعية في هذا الباب، هو يرد عليك.

ويصبح باب الإحالات موجودًا، ولا يحدث التدابر، لو أخذنا بهذه القاعدة ستنشأ بيننا مصطلحات {وأخِي هَارونُ هو أفصَحُ منِّي لسانًا} [القصص:٣٤]، فبالتالي أنا بكل تلقائية أقول: أخي هارون هو أفصح مني لسانًا في باب الإلحاد، أخي هارون هو أفصح مني لسانًا في باب الفقه، أخي هارون هو أفصح مني لسانًا في باب الوعظ، في باب التربية؛ لأن في الأصل أنا أحترم كل الثغور، بمعنى لا نقول: فلانٌ هذا واعظ –على سبيل الانتقاص–، والثاني يقول: فلانٌ هذا جالس في برج عاجٍ يفكر مع نفسه ويظل يفكر هباءً هو لا يعيش في الواقع أصلًا، والآخر يقول: فلانٌ هذا يقول كلمتين ويرفع صوته ولا يفهم شيئًا.

لا، نحن نحترم كل الثغور، فبالتالي أحترم كلمة أخي هارون هو أفصح مني لسانًا في كذا، يعترف، أفصح مني لسانًا في هذا الباب، هو أفصح مني في هذا الباب هو يُصَدّر.

لكن فكرة أن أتصدر في كل الأبواب، لا، هذا خطأ، وهذا يحتاج أن يكون صادقًا مع نفسه {وَمَا مِنَّا إِلَّا لهُ مقَامٌ معْلُوم} [الصافات:١٦٤] لن يحدد لك أحد مكانك، أنت من ترسم مكانًا لنفسك لا تتخطاه، تقول: "هذا ليس بابي"، لا بد أن يكون عندك الجرأة على هذا، أن تقول "هذا ليس من تخصصي"، هذا ليس عيبًا، بالعكس أنْ تتكلم في غير فنِّك سيأتي عليك باللوم، لن تُعْذَر، قف في المكان الذي أَوقفَكَ فيه الله ولا تتخطاه {وَمَا مِنَّا إِلَّا لهُ مَقامٌ معْلُوم}، أما غياب الاحترام و"أنت على علمٍ" و"وأخي هارون هو أفصح مني" سيجعلك تقول الكلمة الشيطانية التي قالها السامري: {بَصُرتُ بِمَا لَمْ يَبْصروا بِه} [طه:٩٦] أنا الوحيد من أفهم، لا أحد يفهم، فلانٌ هذا لا يفهم شيئًا. في بابك حسنًا، والأبواب الأخرى؟ لا، كذلك لا يفهم. هذا تعميم {بَصُرتُ بِمَا لَمْ يَبْصروا بِه}.

فأنت عندك {أخي هارون هو أفصح مني لسانًا}، و{وما منا إلا له مقام معلوم}، يقابلها {بصرت بما لم يبصروا به}.

{ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [الأنفال:٤٦] -كنتُ قد شرحتُها كذلك من الممكن أن ترجعوا لها-.

آخر أمرين في النخب:

الكوادر

الشاب الكادر نجده بمشقة فأرجو ألا نُضَيعه نحن وألا يُضَيِّع هو نفسه، المرء قلبه يتقطع عندما يجد أحدًا من النخب المتصدرة إما أنه يترك الطريق، أو يُضغط نفسيًا، أو يدخل في نزاعات، أو يُسْتهلك في معارك وهمية، عندها أنت تتقطع، هل يَنْقصنا ذلك! أنت الآن في ظل أزمات رهيبة وقليلٌ ما يأتي كادر ويكمل في الطريق، الشاب الآن عندما يبدأ يقتنع أنه يقرأ، أو يَطلب علم، أقصاه ثلاث أو أربع سنين الجامعة يقضيهم نزاعات وتضييع، و"أسمعت آخرُ شبهة؟" ثم يَضيع.

يصبح هدفك معه أن يحافظ على أصول الدين والصلاة والإيمان هذا هدفك معه، وهذا دور العاملين في الوعظ والتربية يوجهوا خطابهم ومهم تعميم خطابهم لأجل هذا.

فأن يأتيك أحد مبنيًا، متأصلًا، وعنده فقه ومُتعلم، ثم نُشغله بالقضايا الجزئية، هذا استهلاك لأهم رأس مالنا، أهم رأس مالنا نلقيه في هذه المعارك الجزئية!!!.. حقيقةً هو أمر مؤلم جدًا.

مهم جدًا في مسألة العلاقات، السياسة الشيطانية المشهورة العزل ثم البتر، شياطين الإنس والجن عندما يحبون أن يفرقوا أو يحبون أن يضربوا أحدًا، يعزلونه أولًا ثم البتر، حتى الجراحين في البتر يفعلون ذلك، يعزل، لم يعد يصل له شيء ثم يبتر. **فالإنسان لا بد أن يحرص على التواصل مع إخوانه**.

آخر أمر مهمٌ جدًا..

أن هؤلاء الناس عندما يحدث بينها تواصل تبدأ –وهذا ذكرته– تبحث عن أصول كلية وقضايا كلية تدعمها، كما كان حسام أبو البخاري –ربنا يفك كربه– كان يتحدث على دفع الهيمنة الأمريكية، في حين أنك عندما تأتي تقرأ هذا المصطلح، كنت أقرأ كتاب اسمه "فهم الإسلام السياسي"، تجد أن هذا المصطلح قديم من حقبة جمال الدين الأفغاني أصلًا عندما حدثت الهيمنة الغربية ودفعها.

أيًا كان.. هناك قضايا كبيرة مثلًا الرد على الإلحاد، **توجد قضايا كبيرة مهم أننا نتبناها بدلاً من أن نشغل الشباب بالمعارك الجزئية الصغيرة**، هناك معانٍ كبيرة ممكن أن نتبناها وندعمها، ومظلة بإمكان كثير من الناس يدخلوا بها.

أحد يقول لي: أنت الآن تتكلم النخب التي يمكن أن تتكلم في هذه الأبواب، افترض أن أحدًا متصدرًا هو في الأصل متخصص في أبواب من أبواب المقالات العقدية ومقالات الفرق، أو مسألة فقهية فرعية معينة، هذا تخصصه جميل جدًا يتخصص في الباب، المشكلة التي لا يجب أن تكون عنده تعميم هذا وتصديره لعموم الناس والولاء والبراء عليها أو الذين يذهبون ليدخلوا في هذه الإشكاليات وهي ليست من تخصصهم، يدخلون في نزاعات مُشادَّات وهي لا تخصهم في شيء.

نصائح للمتابعين

آخر شيء نختم به:-

نصائح للمتابعين لنا نحن، ماذا نفعل؟ النخب والخلافات والسُنة الموجودة.. ماذا نفعل نحن؟

١. إياك أن يصرفك هذا الخلاف عن غايتك وهي الوصول إلى الله

نقطة محورية تخرج بها من الدرس: **إياك أن يصرفك هذا الخلاف عن غايتك وهي الوصول إلى الله** – سبحانه وتعالى-، أنت تريد أن تُرضي الله، أكبر مشاكل الخلاف بالنسبة لنا نحن ونحن نتابع الخلاف أنها تُحولك، أنك تنسى غايتك.

مهم جدًا أن تكثر من الدعاء (اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك)[١٤]، ما هي أول كلمة قلتها؟ "اهدنا"، أنت غرضك الهداية، ليس غرضك الانتصار، ولا أن تكون مع القوي، ولا مع المشهور، ولا مع الذي له متابعين كثر، ولا مع من يفوز.

أنت تريد أن تصل للحق، تبحث عن الهداية، يَطَّلع الله على قلبك يجد صدقًا، أما هذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدقَ اللهَ فصدَقهُ الله)[١٥]، أن السهم يخترق كل الجيش ويصل في المكان الذي

---

١٤ [عن عائشة أم المؤمنين:] حدَّثَني أَبُو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، قالَ: سَأَلْتُ عائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ، بأَيِّ شيءٍ كانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قالَتْ: كانَ إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرائِيلَ، وَمِيكائِيلَ، وإسْرافِيلَ، فاطِرَ السَّمواتِ والأرْضِ، عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ، أنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٧٧٠ • [صحيح]

١٥ [عن شداد بن الهاد الليثي:] أنَّ رجلًا مِنَ الأعرابِ جاءَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ فآمنَ بِهِ واتَّبعَهُ، ثمَّ قالَ: أُهاجرُ معَكَ، فأوصى بِهِ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ بعضَ أصحابِهِ، فلمَّا كانَت غزوةٌ غنمَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ سبيًا، فقسمَ وقسمَ لَهُ، فأعطى ما قسمَ لَهُ، وَكانَ يرعى ظَهْرَهُم، فلمَّا جاءَ دفعوهُ إليهِ، فقالَ: ما هذا؟ قالوا: قَسمٌ قَسمَهُ لَكَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فأخذَهُ فجاءَ بِهِ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ: ما هذا؟ قالَ: قَسمتُهُ لَكَ، قالَ: ما على هذا اتَّبعتُكَ، ولَكِنِّي اتَّبعتُكَ على أن أرمى إلى هٰهُنا، وأشارَ إلى حَلقِهِ بسَهمٍ، فأموتَ فأدخلَ الجنَّةَ فقالَ: إن تَصدقِ اللَّهَ يَصدقكَ، فلبثوا قليلًا ثمَّ نَهَضوا في قتالِ العدوِّ، فأتيَ بِهِ النَّبيُّ يحملُ قَد أصابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشارَ، فقالَ النَّبيُّ: أَهوَ هوَ؟ قالوا: نعَم، قالَ: صدقَ اللَّهَ فصدقَهُ، ثمَّ كفَّنَهُ النَّبيُّ في جبَّةِ النَّبيِّ، ثمَّ قدَّمَهُ فصلَّى علَيهِ، فكانَ فيما ظَهَرَ من صلاتِهِ: اللَّهمَّ هذا عبدُكَ خرجَ مُهاجِرًا في سبيلِكَ فقُتلَ شَهيدًا أنا شَهيدٌ على ذلِكَ

وضع عليه إصبعه، هذا صدق، أنه من بين الخلافات الرهيبة الموجودة بين الأديان، أديان باطلة، وأن ينتقل من المجوسية للنصرانية للإسلام، هذا صدق، كيف يصل من بين فرث ودم هكذا؟ كيف يُوَفق لهذا؟ المكان لم يكن يسمح للوصول، ولا الأحداث كانت تسمح للوصول، لكن يقول الله –سبحانه وتعالى– في سورةٍ لها اسم فيه نوع من الظلام "الليل" يقول الله سبحانه وتعالى في هذه السورة: {إنَّ علينَا لَلهُدَىٰ} [الليل:١٢]، لكن لمن؟ ليس لأي أحد.. {فأمَّا مَنْ أعطىٰ وٱتقى وصَدَّقَ بالحُسْنَىٰ} [الليل:٥] الصادق المخلص الذي يبذل هو الذي يصل.

فإياك أن يصرفك الخلاف عن هذا، أن يصرفك عن وجهتك وهي البحث عن رضا الله سبحانه وتعالى، أنت ما مرادك عندما رأيت اختلافات؟ مرادك أنك تريد أن تصل إلى الهدى (اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه) تكثر من الدعاء، وليس أنك تريد مُشادة وتفرح بها، لا، أنت تريد أن تصل إلى الله – سبحانه وتعالى–.

٢. نصيحة ثانية: ابتعد عن عقلية (الألتراس)

لا تكن (ألتراس)، بمعنى لا تكن مشجعًا، مثلًا من الأحاديث العجيبة الرجل الذي وقف لموسى عليه السلام وقال: (هل في الأرض أعلم منك؟)[١٦]، سيدنا موسى وعظ موعظة عظيمة فبكت منها العيون

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح النسائي ١٩٥٢ • صحيح • أخرجه النسائي (٦٠/٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥٤٥/٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٧١/٧) باختلاف يسير

١٦ [عن أبي بن كعب:] إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي، قُلْتُ: أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَّا عَمْرٌو فَقَالَ لِي: قَالَ: قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَأَمَّا يَعْلَى فَقَالَ لِي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ عليه السَّلَامُ، قَالَ: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، وَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَعَتَبَ عليه إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، قِيلَ: بَلَى، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَأَيْنَ؟ قَالَ: بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، اجْعَلْ لِي عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ - فَقَالَ لِي عَمْرٌو - قَالَ: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ - وَقَالَ لِي يَعْلَى - قَالَ: خُذْ نُونًا مَيِّتًا، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، فَقَالَ لِفَتَاهُ: لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، قَالَ: مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ} يُوشَعَ بْنِ نُونٍ - لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدٍ - قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ وَمُوسَى نَائِمٌ، فَقَالَ فَتَاهُ: لَا أُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ، حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ - قَالَ لِي عَمْرٌو: هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِمَا - {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}، قَالَ: قَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ - لَيْسَتْ هَذِهِ عَنْ سَعِيدٍ أَخْبَرَهُ - فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا - قَالَ لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ - عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ، عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ - قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ - مُسَجًّى بِثَوْبِهِ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عليه مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلَامٍ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا، تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الْآخَرِ، عَرَفُوهُ فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ - قَالَ: قُلْنَا لِسَعِيدٍ: خَضِرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ - لَا نَحْمِلُهُ بِأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا، قَالَ مُوسَى: {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} - قَالَ مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا - (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا)، كَانَتِ الْأُولَى نِسْيَانًا وَالْوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا، {قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا

وتأثرت القلوب، فيخرج أحد يقول له هذا، هذا الشخص لا تكن مثله، مثلًا يكتب أحد منشورًا فيقول له أحدهم لا يوجد أحد أعلم منك، أنت نسفته، أنت لا تعرف ما الذي تفعله في نفسيته، أي لا داعي لهذه العقلية، أنت في الأصل من الممكن أن تكون لا تعرف أصل النقاش والخلاف.

أحيانًا المرء يقرأ التعليقات، قصف جبهة، ونقاشات، وصور، ويضع صورة نينجا، ممكن تدخل ملفه الشخصي تجده مع برشلونة أصلًا! يعني ليس له علاقة بهذه المشكلة من الأساس، لكن كما قلت لك هو وَجَد نزاعًا وخلافًا فدخل فيه، لا تكن هكذا، لا تساهم في هذا، لا تكن أنت هذا الشخص، لا تترك حديث موسى كله مع الخضر والفوائد التي فيه، وتخرج وتقوم بهذا الدور (هل في الأرض أعلم منك؟).

يقول لك: أليس لما قال هذا سيدنا موسى ذهب للخضر وحدث خير عظيم؟ سأقوم بالدور لعل يحدث خير عظيم بسببي!!!

٣. لا تنشغل بمن لا يتبنون أصول الشريعة

نصيحة أخرى:

-مع احترامي لكل الأفاضل المتصدرين- لا تنشغل بهؤلاء، نصيحة عندما تجد أنواعًا معينة من المتصدرين لا تنشغل بهم! من هم؟

تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا}، لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ - قالَ يَعْلَى: قالَ سَعِيدٌ: وجَدَ غِلْمانًا يَلْعَبُونَ فأخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا فأضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بالسِّكِّينِ - {قالَ: أقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بغيرِ نَفْسٍ} لَمْ تَعْمَلْ بالحِنْثِ - وكانَ ابنُ عَبّاسٍ قَرَأَهَا زَكِيَّةً (زَاكِيَةً): مُسْلِمَةً كَقَوْلِكَ غُلَامًا زَكِيًّا - فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ، فأقَامَهُ - قالَ سَعِيدٌ بيَدِهِ هَكَذَا، ورَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ، قالَ يَعْلَى: حَسِبْتُ أنَّ سَعِيدًا قالَ: فَمَسَحَهُ بيَدِهِ فَاسْتَقَامَ - {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أجْرًا} - قالَ سَعِيدٌ: أجْرًا نَأْكُلُهُ - {وَكانَ ورَاءَهُمْ} وكانَ أمَامَهُمْ - قَرَأَهَا ابنُ عَبّاسٍ: أمَامَهُمْ مَلِكٌ، يَزْعُمُونَ عن غيرِ سَعِيدٍ أنَّه هُدَدُ بنُ بُدَدَ، والغُلَامُ المَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ جَيْسُورٌ - {مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}، فأرَدْتُ إذَا هي مَرَّتْ به أنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بهَا - ومِنْهُمْ مَن يقولُ: سَدُّوهَا بقَارُورَةٍ، ومِنْهُمْ مَن يقولُ بالقَارِ - {كانَ أبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} وكانَ كَافِرًا {فَخَشِينَا أنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا، وكُفْرًا} أنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ علَى أنْ يُتَابِعَاهُ علَى دِينِهِ، (فَأَرَدْنَا أنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا منه زَكَاةً) لِقَوْلِهِ: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} {وَأَقْرَبَ رُحْمًا} هُما به أرْحَمُ منهما بالأوَّلِ، الذي قَتَلَ خَضِرٌ - وزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ: أنَّهَا أُبْدِلَا جَارِيَةً، وأمَّا دَاوُدُ بنُ أبِي عَاصِمٍ فَقالَ: عن غيرِ واحِدٍ: إنَّهَا جَارِيَةٌ - البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٧٢٦ • [صحيح]

الذين لا يتبنون أصول الشريعة؛ أي الذي لا يعظم القرآن والسنة وكلام السلف لا تنشغل به، لا تنشغل بالذي يجعل لسانك مليئًا بالسب والشتم والقذف، من إذا صحبته فترة وتتابعه فترة تجد لسانك بدأ بالشتم، والقذف، والاتهامات والأمر أصبح سهلًا هكذا، لا، توقف عن متابعته.

لا تنشغل بالذي يجعلك تدور معه في معاركه الشخصية، أنت فوجئت أنك جالس تدور حول شخص ومشادات فلان، ونقاشات فلان، أنت تركت الدين وأصبحت تدور حول معاركه هو الشخصية، هذا لا تنشغل به، ربنا يوفقه وادع له، لكن لا تنشغل أنت به، ما دام هذا ليس بابك وليست قضيتك، هو شخص يعيش حياته كلها معارك شخصية ويريدك أنت تدور حوله، لا تنشغل به، تحبه؟ ادع له.

لا تنشغل بكثير التنقل، هذا الشهر ينصر قضية، الشهر الذي يليه عكسها، يتنقل من قضية لقضية، وأنت يا مسكين لا تستقر في مكان، يقول لك: لا انقل، يا هذا أنا ما زلت في الواقع لم أفعل شيئًا، فأنت أضعت عمرك في تنقل، لا تنشغل به.

لا تنشغل بأصحاب التفاهة –هناك مقطع جميل جدًا للشيخ أحمد السيد بعنوان صناعة التفاهة–، لا تنشغل بالذي يجعلك تتكلم في قضايا تافهة كثيرًا، المتابعة لشخص كثيرًا يظهر أثره عليك، قَيّم هذا عليك، تتكلم في التفاهة، السب والشتم، تتنقل كثيرًا، مشغول بمعارك شخصية، توقف عن متابعة هؤلاء!

٤. لا لعقلية "هل هذا الشخص جيد أم سيء؟"

نصيحة رابعة: وأنت تسأل لا داعي لعقلية "هل هذا الشخص جيد أم سيء؟" لا، ممكن يكون عنده إشكال وعنده ميزة، كنت تكلمت في هذا بالتفصيل في درس "قواعد التفكير المنطقي" ممكن تعودوا إليه، الناس الذين يفضلون أن يتعاملوا بالاتباع الكامل أو الإسقاط الكامل، بمعنى أنك تجد أحدًا يريد شخصًا إما يسير خلفه في كل شيء و إما يريد له الإسقاط التام!

٥. لا للتشتت المعرفي

من المهم جدًا –الذي يحدث مع متابعة الخلاف الجيد حتى وليس الخلاف السيء–مسألة "التشتت المعرفي" الذي يحدث، أو الذي يمكن أن نسميه أيضًا "حالة التسمم المعرفي"، كما قلتُ الشخص الذي

يريد أن يكون كل شيء، شخص يريد أن يكون كفلانٍ وفلانٍ وفلانٍ، ومنبهر بفلانٍ ويريد أن يُقَلد فلانًا، فتجده يريد أن يصبح متينًا في الفقه، وفي العقيدة، وفي الرد على الإلحاد، وفي العلوم الاجتماعية، هذا كما قلنا على الأقل تحقيقه يحتاج لسنوات وهو في الواقع ليس لديه وقت، فيحتاج أن يكتشف نفسه بصدق وألا يكون طمَّاعًا.

وهنا تفيد جدًا النقاشات التربوية مع أحد ناضج، وهو يكون عنده ذاتية ونضج وفهم وصادق مع نفسه ويعرف ظروفه، يعرف أنه عندما يحلم بهذه القضايا متى سيُحصِّلها، ومتى سيدفع ثمنها، انتبه لا تُشتت نفسك، ابدأ في شيء.

٦. أَجِّل كثيرًا من أسئلتك لمنتصف الطريق

ونصيحة مهمة جدًا: أَجِّل كثيرًا من أسئلتك لمنتصف الطريق وليس في أول الطريق؛ بمعنى سِر الآن في أي شيء، أحد يقول لي مثلًا أنا رأيت منشورك لتجميع المبادرات العلمية، أو هناك صفحة جميلة على التليجرام اسمها إعلانات الدروس أو إعلانات السلاسل والدروس- جزى الله خيرًا القائمين عليها صفحة جيدة جدًا-، فدخلت أحصيت المبادرات وجدتهم مثلاً مائتين وخمسة وتسعين مبادرة ماذا أفعل؟ من غير المعقول أن تدخل فيهم جميعًا!

أحيانًا أدخل صفحة شخص -ربنا يوفقه- تجده كاتب "صناعة المحاور، إنه القرآن، تاج الكرامة، آفاق...الخ" إذا كان هذا بالتوالي جيد، لكن جاء بالتوازي مع بعض! -ربنا يعينه-.

أنا أرى أنك لا تدخل أكثر من اثنين معًا، لا تدخل أكثر من اثنين وهذا يمكن أن نسميه الأغلبية، ادخل في أمر وعندما ينتهي ادخل في الذي يليه.

حسنًا، هذا أم هذا؟ **الذي تحبه أولًا، الأسهل، الذي في المتناول، الذي تستطيع إكماله، الذي أنت مقبل عليه.**

لكن.. ربما...! توقف عن الأسئلة وادخل يكفي كلامًا، حسنًا.. لو..؟ احتمال..، لو دخلت..؟ صمتًا، فكر عندما تنتهي من خمس أو سِت مبادرات، **فكر وأنت في الداخل، لا تفكر وأنت بالخارج**، فكر من الداخل وامضِ قليلًا لن يحدث لك شيء!

كما قلت لك أنت تقابل الشخص اليوم ثم تقابله بعدها بثلاث أو أربع سنوات يسأل ذاتَ الأسئلة مع تغيير أسماء المبادرات؛ لأن عندما انتهت المبادرات ظهر غيرها يغير فقط الأسماء، سواء أسماء الأشخاص، أو أسماء المبادرات، أو أسماء الدورات العلمية، لو كان مضى في أي شيء كان قطع شوطًا، فلا تشتت نفسك، وتريد أن تدخلها كلها، كالرجل الخارق تريد أن تكون كل هؤلاء معًا، وأنت ليس لديك وقت في الواقع، امضِ، يقول لك افترض أنها كانت خطأ، ليس هناك مشكلة أنت استفدت ستقول لمن سيأتي خلفك لا تدخل أنت تأخذ ثوابًا عظيمًا، لكن سِر... لا تقف!

الخلاف عبودية

آخر شيء نختم به ((الخلاف عبودية))، أنت مُطالب ماذا ستفعل أمام هذا الخلاف؟، أيًّا كان الخلاف، الخلاف الفقهي مثلًا هل ستتبع هواك أم ستبحث عن الأعلم، الخلاف الحركي، الغيبة، الانتقاص، عقلية التشجيع، الذي يحدث أمامك هذا قدر.. أنت ماذا ستفعل فيه؟، كيف ستتصرف تجاه ما يحدث؟، ستترك القضية؟

هناك شخص يقول لك: ألستم مختلفين مع بعضكم؟ أنا سأتركها لكم، وعندما تتفقون على أمر أخبروني. هذا وقع في فتنة، أو الذي يتابع فلانًا انتقامًا، {حتَّىٰ أنْسَوكُم ذِكْرِي..} [المؤمنون: ١١٠] من الممكن أن تنشغل بشيء لدرجة أنك تنسى ذكر ربنا الذي كنت قد دخلت من أجله في الأصل.

أنت بدأت تشجع فلانًا وتشجع فلانًا وفلانًا ومعارك، ونسيت لمَ دخلت ذلك الطريق؟، ما الذي أتى بي إلى هنا من الأصل؟

هو فوجئ أنه من كثرة المعارك نسي أنه كان داخلًا لينصر دين الله، كان داخلًا ليتعلم، ويريد أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى، ويريد أن يقوم الليل، وأن يبكي من خشية الله، وأن يُتقن الفرائض، وأن يدافع عن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، نسي كل هذا وصار مشغولًا.

فالخلاف قدر، ماذا ستفعل أمامه؟ **استحضار العبوديات هذا مهم جدًا جدًا**، وكما قلت هذا ليس معناه منطقة الحياد المتَوَهم والمثالية المتوهمة، لا، أنت ستبحث عن الأعلم وتتبعه، أنت في مرحلة أنت ما زلت لا تملك اكتمال الأدوات، الأتقى والأعلم تتبعه وتسير خلفه فترة.

يقول مرة أخرى سؤال: ماذا لو كان خطأ؟ في الواقع أنت معذور، مع الصدق، والتحري، وبذل الوسع أنت معذور، معذور أمام الله –سبحانه وتعالى–، وقوفك ليس حلًا.

يوجد عندنا تصورات مثالية –الواحد يتمنى أن يتكلم عن إشكالية التصورات المثالية–، أنه إنسان يقف منتظراً أن تصبح الأمور أبيض وأسود ويظل واقفًا، لن يحدث. أو منتظرًا ناس مضت في طريق لتصل لآخره وتعود تقول له: تعال هذا الطريق آمن، لا، كلما ظللت تسير يظل هناك اختلافات. وهذه آخر كلمة في الدرس اليوم.

ليس هناك حل لإشكالية اختلاف النخب، –هذه مفاجأة أنا أعتذر أني قد أخرتها–، ليس هناك كلمة سِر ستدخلها فتحل لك هذا الأمر، هذه عبودية، ستبذل مجهودًا كي تصل إلى الحق، كما يحدث خلاف دنيوي بين اثنين أطباء في عملية من عمليات القلب، وأنت تبذل وسعك وفي النهاية تتوكل على الله وتستخير، هذا موجود بين أهل العلم وسيظل موجودًا، وهناك أدوات للتعامل مع هذا.

الدرس كان مجملًا أما تفاصيل كيف نتعامل مع الخلاف الفقهي هذا تجده في كتاب مثل:

- "اختلاف المفتين"،
- أو "كيف نتعامل مع اختلاف أهل العلم".

أنا لا أريد الأسئلة تأتي أن فلان يقول عن كذا أنه مكروه، وكذا أنه حرام، ماذا أفعل؟ لا، هذا فرع من الفروع كيف نتعامل مع أبواب الخلاف الفقهي، هذا على حسب درجتك، لديك علم، مجتهد، متعلم، مقلد، حسب درجتك، وحسب فهمك للمسألة، هذا ليس أصل السؤال لكن مجرد أن هناك خلاف فقهي أمامك أنت ماذا فعلت؟ هل اتبعتَ هواك؟ وكلما تحدث معك أحد في أي باب تجيب: "في الواقع بها خلاف"، فأصبحت حياتك كلها هكذا، وأصبح ردك "في الواقع هناك خلاف".

لماذا تركت الدين في الأصل؟

لأنهم مختلفين. لا ليس عذرًا!

قلت لك إن هذه سُنة قدَرِية موجودة، دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– ربَّهُ أن يصرفها فأبى الله سبحانه وتعالى إلا ذلك، هذه من الأقدار التي قدرها الله سبحانه وتعالى والبلاءات التي قدرها الله على هذه الأمة، أكثر من دعاء (اللهم اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. وجزاكم الله خيرًا.